المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2194) - السنة (55) صفر 1446هـ / 1 أغسطس 2024م

السودان إلى أين؟

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم
تأسست عام 1970

المنصات العربية

الموقع العربي

الميديا

English Platforms

English Site

Media

الأعداد الورقية والإصدارات

قريباً على بوابة المجتمع

موقع نظام
الاستشارات للمجلة

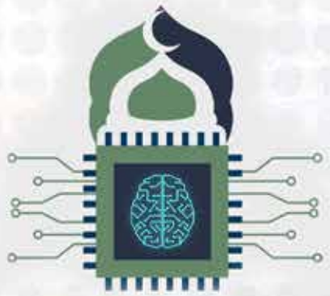

المحتوى الإسلامي
بالذكاء الاصطناعي

موقع أرشيف
مجلة المجتمع

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2194) - السنة (55)

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

السودان إلى أين؟

السودان.. أزمة إنسانية وجهود كويتية لإغاثة المنكوبين 6
قراءة في جذور الأزمة السودانية 10
الدور الخارجي المشبوه في تأجيج الصراعات بالسودان 13
ما يجري في السودان جزء من مؤامرة كبرى 16
الجامعة العربية.. والدور المفقود في الأزمة السودانية 22
عبد المحمود: دعم صهيوني ودولي وإقليمي لتمزيق وحدة السودان 24
المدارس المنزلية.. طوق نجاة التعليم في السودان 30
حميدتي.. من تجارة الإبل إلى السعي لحكم السودان! 43
لماذا يهدم الاحتلال منازل الفلسطينيين ومنشآتهم؟ 46
كاريكاتير المجتمع 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).
وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

رأي المجتمع

حرب السودان.. والدور العربي المفقود

يعيش السودان اليوم بسبب الحرب الداخلية التي أشعلتها مليشيا «الدعم السريع» صراعاً شديد الخطورة على كيان الدولة، ويكاد يعصف بها تماماً.

ولا يخفى على أحد الأصابع الخفية التي تؤجج الصراع، سواء كانت صهيونية أو دولية أو إقليمية، من أجل تنفيذ مشروع تمزيق وحدة السودان.

وزير الأمن الداخلي الصهيوني الأسبق آفي ديختر، في محاضرة ألقاها عام ٢٠٠٨م، يلخص الرؤية الإستراتيجية الصهيونية تجاه السودان بقوله: «إن إضعاف السودان واستنزاف طاقاته وقدرته يعتبر واجباً وضرورة من أجل تعظيم قوة «إسرائيل» وإعلاء منعتها في مواجهة الأعداء، وهو ما يحتم عليها استخدام الحديد والنار تارة، والدبلوماسية ووسائل الحرب الخفية تارة أخرى».

إنّ البعض يصور الأزمة السودانية وكأنها صراع بين قائدين عسكريين؛ عبدالفتاح البرهان، رئيس المجلس السيادي السوداني (القائم بعمل رئيس الدولة)، ومحمد حمدان دقلو (حميدتي)، قائد قوات «الدعم السريع» في السودان، والواقع أن الموضوع أكبر من ذلك بكثير، إنه مستقبل كيان الدولة السودانية، ومصير شعبها.

لذا، فإن المطلوب وبالأخص من الدول العربية أن تقف موقفاً مبدئياً واحداً؛ وهو الاصطفاف إلى جانب القوات المسلحة السودانية التي تمثل الشرعية، بتقديم المساعدات العسكرية الحاسمة، والدعم السياسي في المحافل الدولية، وإدانة تمرد مليشيا «الدعم السريع» وارتكابها جرائم ضد الإنسانية، والتواصل مع دول العالم والإقليم وحثها على حجب المساعدة والدعم عن هذه المليشيا.. فهل آن الأوان لكي تتحرك الدول العربية في هذا الاتجاه؟■

وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

سورة الحجرات

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

السودان.. أزمة إنسانية وجهود كويتية لإغاثة المنكوبين

البسام لـ المجتمع: السودان يواجه واحدة من أكبر أزمات النزوح في العالم

منذ إبريل ٢٠٢٣م يعاني السودان من أزمة إنسانية شديدة نتيجة الصراع الدائر بين الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع»، والذي أدى إلى وفاة الآلاف ونزوح الملايين؛ ما جعل السودان يواجه واحدة من أكبر أزمات النزوح في العالم.

وتعليقا على هذه الأزمة الإنسانية، أكد رئيس قطاع الموارد المالية والتنمية في "نماء الخيرية" التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي وليد البسام أن الإحصائيات الصادرة من المنظمات الأممية بشأن الأزمة في السودان يندى لها الجبين.

وعن النزوح الداخلي واللجوء الخارجي قال البسام: "نزح أكثر من ٦,٩ ملايين شخص داخل السودان، بينما فرّ نحو ١,٤٥ مليون إلى الدول المجاورة، نصف هؤلاء النازحين من الأطفال؛ ما يجعل السودان يواجه أكبر أزمة نزوح للأطفال في العالم".

أما بالنسبة للأزمة الغذائية فقال: إن "السودان يعاني فيه ١٧,٧ مليون شخص من نقص حاد في الغذاء، ويواجه ٤,٩ ملايين منهم خطر المجاعة، هذا الوضع أدى إلى انتشار سوء التغذية خاصة بين الأطفال، وإلى انتشار الأمراض المعدية كالكوليرا والحصبة، مع تسجيل آلاف الإصابات والوفيات، كما يعاني النظام الصحي من نقص حاد في الأدوية والمستلزمات الطبية؛ ما أدى إلى إغلاق ٧٠% من مرافق الرعاية الصحية".

وحول الجهود الإغاثية لمواجهة هذه الأزمة قال رئيس قطاع الموارد المالية والتنمية في "نماء الخيرية": "تعد نماء الخيرية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي من أبرز الجمعيات الكويتية التي تبذل جهوداً إنسانية لدعم السودان، وقد تميزت نماء الخيرية بعدة مبادرات إنسانية للتخفيف من معاناة السودانيين المتضررين من الصراع.

وعن الحملة الإغاثية في تشاد قال البسام: في ظل الأوضاع الإنسانية الصعبة التي يعاني منها السودانيون اللاجئون إلى تشاد، نفذت نماء الخيرية حملة إغاثية شاملة لتلبية احتياجاتهم، تضمنت إرسال قافلة طبية شملت تخصصات متعددة، مثل العيون والباطنة، وقدمت خدمات صحية لأكثر من ٦٠٠٠ مستفيد؛ ما ساهم في تحسين الظروف الصحية للاجئين وتوزيع ٤٠٠ سلة غذائية تحتوي على مواد غذائية ضرورية، بالإضافة إلى ذلك تم توزيع ١٠٠٠ وجبة على الأسر المحتاجة، خاصة للأطفال الذين يعانون من سوء التغذية.

المبادرات الإنسانية

أما عن المبادرات الإنسانية فقال البسام: إن "نماء الخيرية حرصت على تعزيز التعاون مع الشركاء المحليين والدوليين لتقديم المساعدات بشكل فعال؛ ما ساهم في مواجهة التحديات الملحة وحماية حياة المئات من الجائعين والأطفال الذين يتأثرون بشكل كبير بسوء التغذية".

وقد أطلقت نماء الخيرية حملات إغاثية شاملة لتلبية احتياجات النازحين داخل السودان، وقد تعاونت مع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لتقديم المساعدات النقدية متعددة الأغراض للنازحين داخل السودان، والتي تشمل تغطية نفقات أساسية مثل سداد الديون، والإيجار، والطعام، والرعاية الصحية.

كما استجابت نماء الخيرية لمواجهة الوضع الصحي للنازحين؛ حيث قامت بتوزيع البذور الشتوية واللقاحات لدعم المزارعين المحليين؛ ما يساعد في تعزيز الأمن الغذائي في المناطق المتضررة، بالإضافة إلى تقديم فحوصات تغذوية وعلاج سوء التغذية الحاد للأطفال.

وفي إطار تعزيز الجهود الإغاثية، قام وفد من نماء الخيرية بزيارة تشاد مرتين لتقديم الدعم المباشر للاجئين السودانيين هناك، وقد تضمنت الزيارات تقديم الدعم المباشر من خلال توزيع المساعدات الغذائية والمواد الإغاثية بشكل مباشر على الأسر المحتاجة، والذي شمل أيضاً توفير المأوى والمستلزمات الأساسية للعيش.

وأكد رئيس قطاع الموارد المالية والتنمية في "نماء الخيرية".. أن وفد نماء الخيرية قام بإجراء تقييم شامل للأوضاع الإنسانية في المخيمات السودانية في تشاد، مما ساهم في تحديد الاحتياجات العاجلة وتقديم المساعدات بشكل فعال.

وأكد أن نماء تسعى لتعزيز التعاون الدولي مع المنظمات الإنسانية الدولية والمحلية لضمان تقديم المساعدات بشكل مستدام وفعال، وقد ساعدت هذه الزيارات في تحسين تنسيق الجهود الإغاثية وتقديم الدعم اللازم للاجئين.

وتعد جهود نماء الخيرية نموذجا لالتزام الكويت بتقديم الدعم الإنساني للسودان، خاصة في ظل الأزمة الإنسانية الحالية، من خلال حملاتها الإغاثية، وزيارات الوفود للاجئين السودانيين في دول الجوار.■

أعلنت الجمعية الكويتية للإغاثة انطلاق رحلات الجسر الجوي لإغاثة السودان من قاعدة عبد الله المبارك الجوية باتجاه مطار بورتسودان، وعلى متن كل منها ٤٠ طنا من المواد الإغاثية والطبية وسيارات الإسعاف لإغاثة النازحين.

وقال نائب مدير الجمعية عمر الثويني: تأتي الرحلات ضمن حملة "فزعة للسودان" بالاشتراك مع ٨ جمعيات ومؤسسات خيرية كويتية، بهدف تقديم الدعم اللازم للمتضررين من الحرب المتواصلة منذ عام.

وأشاد الثويني بالجهود المبذولة من الجهات الرسمية، وعلى رأسها وزارات الدفاع والخارجية والإعلام التي ساهمت في تسيير أولى رحلات الجسر الجوي الكويتي إلى السودان.

وثمَّن دور المؤسسات الخيرية في العمل الإنساني المشترك من خلال المساهمة في "حملة "فزعة للسودان.■

عـــود ورد
Oud Ward
EAU DE PARFUM
يزيد حضورك .. تألقاً وفخامة

الشايع
منذ SINCE 1928
الشـــايـــع للعطـــور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

بدر المسفر.. الهادئ المحب لدعوته

مكتب الوفاء- عادل العصفور:

يعد بدر خلف خالد المسفر في ميزان الشباب من الذين ينطبق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «.. وشاب نشأ في عبادة ربه»، نحسبه كذلك والله حسيبه؛ حيث عرف عنه صلاحه وحرصه على العبادة، ومن أهم الدلائل على ذلك أن الله تعالى ختم له بالخير حيث مات وهو في الصلاة.

الميلاد والنشأة:

ولد بدر المسفر في منطقة الرميثية، في ١٥ رمضان ١٣٩٨هـ/ ٢٠ أغسطس ١٩٧٨م، ثم انتقلت الأسرة إلى منطقة صباح السالم عام ١٩٩٧م، وكان ترتيبه قبل الأخير بين إخوته الأربعة.

تلقى تعليمه في المرحلة المتوسطة بمدرسة النجاة، والمرحلة الثانوية في ثانوية فلسطين بمنطقة الرميثية، أما المرحلة الجامعية فكانت في كلية التربية الأساسية تخصص تربية بدنية.

صفاته:

تميز بعدد من الصفات التي عرفه بها كل من اقترب منه وتعامل معه، ومنها:

- الهدوء:

كان هادئ السمت يعمل في صمت، ويكظم غيظه، ولا يحب الصخب والصياح، وإن صدر منه شيء من ذلك يتراجع بسرعة ويعتذر.

- الحرص على الصلاة:

عرف عنه حرصه على الصلاة، وكان قلبه معلقاً بالمساجد، والدليل على ذلك أنه كان إذا خشي أن تفوته صلاة العصر ينام خارج غرفته بعيداً عن فراشه في مكان يسمع منه ضجيج المنزل طالباً ممن في المنزل إيقاظه للصلاة.

- حبه للدعوة:

كان محباً للدعوة والأخذ بيد من حوله إلى طريق الله رب العالمين؛ فكان يجمع شباب الحي (الفريج) في سيارة والده ويذهب بهم إلى المسجد وشاطئ الخليج ويعلمهم أمور دينهم ويحثهم ويحببهم في الصلاة وقراءة القرآن.

وكان حريصاً على متابعة إخوانه يتفقدهم في الصلوات ويحثهم على الطاعات.

ومن المواقف الدالة على حبه للدعوة في أصعب المواقف وقت مرضه وعلاجه في لندن عام ٢٠٠٠م؛ حيث كان المصحف (طبعة المدينة المنورة ذات اللون الأزرق المتوسط الحجم)، معه في كل مكان، في المستشفى، وفي السكن، وعندما أذن له الطبيب بقضاء الوقت مع أسرته في حديقة «رجنت بارك» كل يوم، ودائماً كان يشجع بعض رفقائه على حفظ بعض السور من القرآن الكريم مقابل الحوافز والمكافآت.

فرغم الظرف الذي كان فيه ظل الجانب التربوي لصيقاً به لا يفارقه، فتجده في أوقات فراغه ورحلاته العائلية عندما ينشغل البعض بمشاهدة التلفاز كان يشغل نفسه بالقراءة أو مطالعة المصحف أو يقرأ كتاباً تربوياً أو دينياً وبعضاً من كتب التاريخ، كانت هذه هي اهتماماته.

كان حريصاً على العبادة والدعوة في أصعب اللحظات حتى ختم الله حياته بالخير وهو يصلي

حسن الخاتمة:

في آخر فصل دراسي بالتطبيقي، أصابه مرض السرطان، فذهب للعلاج بلندن ومكث فيها قرابة عام وعاد إلى الكويت بعد شفائه من المرض، وكان تأثير الكيماوي على قلبه كبيراً.

وفي يوم الأربعاء ١٢ رجب ١٤٢٥هـ/ ٢٨ أغسطس ٢٠٠٤م، قام بتوصيل شقيقه إلى المطار، ثم ذهب إلى مسجد الهدهود العوضي بصباح السالم لأداء صلاة العصر مع والده، وفي صفوف المصلين عند الركعة الأولى سقط وفاضت روحه إلى بارئها، مات وهو يصلي؛ فقد كانت قرة عينه في الصلاة.■

سلامٌ على الراشد أبي عمار!

د. يوسف السند
إمام وخطيب بـــوزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلاميـــة بالكـــويت

أحد أبرز قيادات الإخوان المسلمين في العراق، تتلمذ على يد الكثير من علماء بغداد ومنهم الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ العلامة محمد القزلجي، وهاجر بعد حرب الخليج الثانية إلى أوروبا، ويعتبر الراشد من أهم منظري ومؤلفي الحركة الإسلامية.

ولقد رأيته في مسجد القطان بحولي، وقد تحلق حوله شباب المسجد، وقد كنت أسأله وأستفيد منه، وكنت أراه في جمعية الإصلاح الاجتماعي، وفي أيام الغزو العراقي -لا أعادها الله- كنت أراه في جمعية الإصلاح الاجتماعي في دبي، فقد كان عالماً شرعياً تجلس معه قليلاً فتستفيد منه كثيراً!

وكنا نتلقف كتبه التي صدرت في الكويت ونقرؤها، بل ونتدارسها، وكانت له مقالات في مجلة «المجتمع» بعنوان «الجندية طريق القيادة».

تعلمنا منه في كتاب «المنطلق»:

١- نرفض الأهواء: «إياكم وكل هوى يسمى بغير الإسلام»؛ صرخة تحذير صرخها المحدث الثقة ميمون بن مهران لينبهنا إلى أن كل ما هو غير الإسلام لا يعدو أن يكون هوى من الأهواء.

٢- كسوف لا غروب: يرفض الداعية أن ينصاع لمخططات الكيد اليهودي، ورغم الفساد فإن الداعية المسلم لن يتخلى عن محاولة انتشال العباد.

٣- الأبرار الهالكون: أيها الأبرار الصالحون، أيها الزهاد العابدون، أمامكم خطر القانون الرباني الرهيب إن تخارستم، لا يغرنكم زهدكم وصلاتكم، انطقوا بالحق، وانهوا عن المنكر وإلا فهو الهلاك.

وتعلمنا منه من كتاب «العوائق»:

- الحر من راعى وداد لحظة، أو انتمى لمن أفاده لفظة.

- ورأس هذه الشرور في مشاهدات الفضيل ارتفاع الأخوة.

يقول: إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله، وكما وصف الفضيل بعضها، كشف الرجل الصالح أبو بكر الحكيم الوراق بعضاً آخر منها، فقال: إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق.

ثم يبين الراشد لشباب الإسلام سهام الشيطان فيقول: هي سلاسل مقيدة موثقة، كما أنها سلاسل متتابعة متوالدة، تلك العيوب الثالمة الثالبة، تشل صاحبها عن حيوية في الخير وحراك، وتشده إلى أرض الجمود، لها تزين وتزيين، ولها لسان طويل وترهيب، لكنها جبانة عند لقاء المؤمن، تخاف انتباهه.

وتعلمنا من كتاب «الرقائق»:

من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى، أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياء، أو خشية؛ فالمسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع، هو فكر واحد لكل الرؤوس، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشكلات، وكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم، يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله.

يمشون نحو بيوت الله إذ سمعوا «الله أكبر»
في شوق وفي جذل
أرواحهم خشعت لله في أدب قلوبهم من
جلال الله في وجل
نجواهم: ربنا جئناك طائعة نفوسنا،
وعصينا خادع الأمل
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم من خشية الله
مثل الجائد الهطل
هم الرجـــال فلا يلهيهـــم لعب عـــن
الصلاة، ولا أكذوبة الكسل

وتعلمنا من كتاب «صناعة الحياة»:

أ- بركة العلم الشرعي وأثره الثقيل:

١- العالم الشرعي من صناع الحياة: إذا تجرد وتعب في تربية نفسه وأطال السهر وحنى الظهر.

٢- رواد الفكر الإسلامي من صناع الحياة: بالتعريف بالإسلام وخصائصه.

٣- الوعاظ من صناع الحياة: ومهمتهم الضرب على الوتر العاطفي وتحريك المشاعر وإنهاض الهمم وتناول حديث الجنة والنار.

إن نظرية صناعة الحياة في خلاصتها تنبيه لضرورة إمساك الدعاة بمصادر القوة العلمية والمحركات العاطفية والجاذبية الجمالية والتسهيلات المالية، إنها نظرية القدوات، والنقاط الجامعة، والبؤر اللامعة.

لا بد أن ننزل إلى ميدان الصناعة والزراعة والعقار والاستيراد والتصدير، وبخاصة في البلاد الحرة التي لا ينال أموالنا فيها ظلم، وفي العالم الفسيح متسع للاستثمار.

كن حمالاً في السوق، لكن قرر مع أول خطوة لك أن تصير تاجراً أو عقارياً أو مدير شركة، فستصير وتصل بإذن الله، المهم تصميمك وألا تستطيب جلسة الوظيفة الحكومية.

قرر قبول الجوع سنة تأكل الخبز بالخل، هذا هو المهم، إذ ستأتيك الأموال من بعد.

ومن مؤلفات محمد الراشد: «صولة الأصالة»، «المسار»، «صراطنا المستقيم»، «مناغاة الإلكترون»، «العمارة الدعوية»، «منهجية التربية الدعوية»، «بوارق العراق»، «بعض رسائل العين»، «مواعظ داعية»، «آفاق الجمال»، «موسوعة الدعوة والجهاد»، «عودة الفجر»، «صحوة العراق»، «دفاع عن أبي هريرة».

لقد امتلأت منصات ومواقع التواصل عن مؤلفات محمد أحمد الراشد شرحاً وتفصيلاً وثناء؛ فقد استخرج لنا فقه الدعوة من الكتاب ومن سُنة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مستنبطاً فقه الدعوة وأصولها وموازينها من أقوال العلماء الأجلاء الثقات، مدعماً أقوالهم بأدب أهل اللغة والشعر والبيان!

فجزاه الله خيراً وفيراً، وأكرمه بالثبات وحسن الختام، وجزاه على صبره وتحمله جنة وأنهاراً وحريراً، وأقعده مقعد صدق، وجزاه قدم صدق فهو سبحانه ذو الجلال والإكرام.

والحمد لله رب العالمين.■

قراءة في جذور الأزمة السودانية

أمية يوسف ابوفداية
مدير المركز السوداني لحقوق الإنسان وحرية الإعلام

السودان بحدوده الجغرافية قبل انفصال الجنوب في عام ٢٠١١م نتاج غزو الخديوي محمد علي باشا، حاكم مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٩م)، صاحب النزعة التوسعية الطامح في تأسيس إمبراطورية خاصة تحت غطاء الخلافة العثمانية، كان غزوه للسودان في عام ١٨٢١م بجيش قاده ابنه إسماعيل باشا وصهره محمد بك الدفتردار، ويمكن تلخيص أهداف محمد علي باشا من ذلك الغزو في:

١- هدف عسكري يتمثَّل في البحث عن رجال لدعم جيشه الذي سيوطد حكمه ويبني إمبراطوريته.

٢- هدف اقتصادي غايته البحث عن الذهب في أقصى جنوب شرق السودان (جزء من تلك المناطق يتبع لدولة إثيوبيا حالياً).

٣- هدف أمني يعمد إلى تأمين منابع النيل.

قضى جيش محمد علي على ممالك كانت في شمال السودان، ثم قصد إسماعيل باشا وسط السودان للقضاء على سلطنة «سنار» الإسلامية، وسط وجنوب شرق السودان الحالي، التي قامت بعد سقوط الأندلس بـ١٢ عاماً فقط في عام ١٥٠٤م واستمرت زهاء ٣ قرون، فيما توغل الدفتردار فسيطر على غرب وسط السودان وجنوبه الحالي.

ثم ورثت الدولة المهدية حكم السودان بعد انتصارات متتالية وفتوحات انتهت بتحرير الخرطوم في العام ١٨٨٥م، وكأن المهدية كانت إلى الثورة أقرب منها إلى الدولة، إذ نجحت في التحرير بقيادة إمامها الملهم محمد أحمد المهدي، لكنها في بناء الدولة وتأسيسها وتحقيق الاستقرار السياسي والرضا والتوافق المجتمعي لم تحقق نجاحاً كبيراً، وخاصة بعد فقد قائدها الذي توفي بعد إنجاز التحرير بزمن قصير.

ثم سقط السودان كله تحت الحكم الإنجليزي الذي تدثَّر بثنائية مع مصر زائفة، لكن في حقيقة الأمر كانت مصر نفسها تحت حكم الإنجليز، استمر ذلك الحكم من ١٨٩٩م العام الذي أسقط فيه الإنجليز حكم خليفة المهدي حتى عام ١٩٥٦م (٥٧ عاماً).

ما بعد الاستقلال

وما إن نال السودان استقلاله حتى ظهرت آثار كيد المستعمر ومكر ليله ونهاره، فاندلع تمردٌ في جنوب السودان في عام ١٩٥٥م، وتباعد ما بين شمال السودان وجنوبه بخطة استعمارية فصلت بين الشمال والجنوب بقانون «المناطق المغلقة»؛ حيث مُنِع التحدث باللغة العربية، ومُنِع لبس الأزياء الإسلامية، ومُنِعت الدعوة للإسلام، في الوقت ذاته الذي سُمِح فيه للكنائس الغربية أن تعمل، ولحملات التنصير أن تتحرك في

منذ الاستقلال دخل السودان في حلقة دائرية مستحكمة من الاضطرابات تبدأ لتعود من جديد!

حرية كاملة، وقد استمر هذا الوضع حتى حكم الرئيس عبود (١٩٥٨ - ١٩٦٤م).

ومنذ الاستقلال دخل السودان في حلقة دائرية مستحكمة من الاضطرابات تبدأ لتعود من جديد؛ فترة ديمقراطية ينقلب عليها عسكر، ثم يسقط حكم العسكر بانتفاضة شعبية لتأتي فترة ديمقراطية جديدة ينقلب عليها عسكرٌ جدد ثم تستمر الدائرة، وما من شك أن في هذا شاهداً على فشل النخب السودانية جميعاً المدني منها والعسكري في التوافق السياسي، لكن يد الخارج لم تكن غائبة في تلك الفترات جميعاً، وقد عمدت تلك اليد إلى سياسة استنزاف للسودان وإرهاقه أبداً، وكأن الوضع الذي لا يريد أصحابه أن يروا السودان في سواه هو وضع الاضطراب السياسي، الاضطراب الذي لا تقوم معه نهضة ولا يتحقق معه نماء ولا يكون معه استقلال قرار في سياسة ولا اقتصاد.

الأزمة الحالية

لفهم الأزمة الحالية في السودان يحتاج المتابع أن يلتفت إلى جملة حقائق وإضاءات، من تلك الحقائق طبيعة الجيش السوداني وتاريخه، فالجيش السوداني ترتيبه ٧٥ عالمياً، و١١ عربياً، وقد ظل الجندي السوداني مطلوباً دائماً لشجاعته وبسالته وانضباطه العالي، فرنسا، مثلاً، استعانت بأورطه (كتيبة) سودانية في عام ١٨٦٣م قوامها ٤٣٥ جندياً بالاتفاق مع الخديوي في مصر، عاد منهم إلى السودان بعد ٤ سنوات فقط ٣١٣ جندياً بعد استشهاد ١٤٠ في حرب استقلال المكسيك الذي كانت تدعمه فرنسا.

وشارك الجنود السودانيون في الحرب الأولى مع الحلفاء، ولكن سلطان دارفور علي دينار الذي ظل مستقلاً بدارفور أقصى السودان عن الاستعمار الإنجليزي انحاز للقتال مع الخلافة العثمانية، فتمت معاقبته وقُتِل في عام ١٩١٦م، وضُمَّت دارفور بعده إلى الاستعمار الإنجليزي.

كانت الأحزاب السياسية السودانية تصل إلى السلطة في زي العسكر؛ أي أنها كانت تعمل داخل المؤسسة العسكرية، هذا الأمر لم يتخلَّف عنه حزب من الأحزاب من اليمين أو اليسار، وهذا النشاط الحزبي داخل المؤسسة العسكرية إن لم ينجح في الوصول إلى السلطة، فقد أحدث فيها بعض توترات، وإن نجح فقد أرهقها بأعباء الحكم وأثقال تصريفه وهواجس تأمينه.

وهذا كله لا شك أقعد الجيش السوداني الذي كان مؤهلاً ليكون متقدماً جداً في كل ما يتصل بتطوير الجيوش بالنظر إلى طبيعته وإمكانياته، هذا الأمر استمر في كل عهود سودان ما بعد الاستقلال، ومهما يكن من نقد لتجربة الإنقاذ ولوضع المؤسسة العسكرية على زمانها، فإن الناظر المتجرد لاجتهادات التصنيع الحربي في هذه الفترة يُقِرّ بنجاحات حقيقةٍ بالاحتفاء، وربما كانت حقيقة كذلك بالتفات الخارج الذي تسوؤه محاولات الاستقلال في التصنيع ويزعجه أكثر أن يكون تصنيعاً حربياً، وهو المجتهد أبداً في إضعاف جيوش المنطقة العربية والأفريقية.

من أبرز المشكلات أن الأحزاب السياسية السودانية كانت تصل إلى السلطة في زي العسكر!

من الحقائق والإضاءات كذلك لفهم طبيعة الأزمة السودانية الحالية التعرف إلى موارد السودان التي ظلت محل أطماع من قديم، وليس من ضروب المبالغة والتضخيم أن يقول قائل: إن السودان تجتمع له من الموارد ما لا يجتمع عند غيره، المورد الواحد منها كافٍ لنهضة السودان وضامنٌ لرفاهية شعبه لو تحقق له استقرار سياسي.

أرض الثروات

فالسودان يجتمع عنده من ثروات باطن الأرض الذهب واحتياطيات من الفضة والمايكا والتلك والمنجنيز والكروم والبلاتين والنفط والغاز.

ثم هو يملك ٨٤ مليون هكتار صالحة للزراعة، المستغل فعلياً منها ٢٠% فقط أو أقل، وهذه الـ٢٠% نفسها أكثر من ٨٠% منها يعتمد على الري المطري في بلد يشقه أطول أنهار القارة الأفريقية وأعظمها، وفيه سوى النيل أنهار أخرى، وله مصادر مياه من غير الأنهار.

والسودان له من ثروات الأنعام ٣٠ مليون رأس من الأبقار غير مستغلة الاستغلال الأمثل في إنتاج اللحوم ولا الألبان، وفيه ٤٠ مليون رأس من الأغنام غير مستغلة كذلك أحسن استغلال في إنتاج اللحوم ولا الألبان، وقل مثل ذلك في ٣٢ مليون رأس من الماعز، ثم له ١٥ مليون رأس من الإبل أكثرها يُصدَّر للخارج لجودة لحومها ولمهارتها في السباقات بدرجة أقل.

وفي السودان تعدد في المناخ وتنوع فيه يتيح ألواناً شتّى من النشاط الرعوي أو الزراعي، وفيه ثروة سمكية، وغير خافٍ أن السودان هو المصدر الأول للصمغ العربي الذي لا تستغني عنه صناعة من الصناعات في العالم.

إذن، نحن نتحدث عن دولة عظمى في الموارد، فقيرة جداً على أرض الواقع، وبعدد سكان لا يتجاوز ٤٥ مليون نسمة.

«الدعم السريع» اللاعب الجديد

لكن الجديد في مشهد الأزمة السودانية الحالية هو «قوات الدعم السريع»، وعمودها الفقري وأساسها قوة قبليّة (عربية من دارفور) تم إنشاؤها في عام ٢٠١٣م في عهد الرئيس المخلوع عمر البشير بعد انفصال الجنوب وفقدان بتروله وازدياد نشاط الحركات المتمردة في دارفور (عدداً ومساحة)، وكانت

السودان دولة عظمى في الموارد فقيرة جداً على أرض الواقع بعدد سكان لا يتجاوز ٤٥ مليون نسمة

مع بداية الحرب سيطر «الدعم السريع» على غالب أنحاء العاصمة السودانية المرافق العسكرية

معظم الحركات المتمردة من إثنيات أفريقية غير عربية ولها عداء مع عرب الجوار.

بعد الانتفاضة أو الثورة على نظام البشير في عام ٢٠١٩م وحتى الحرب في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م تعاظم دور «الدعم السريع» فصار:

١- أكبر قوة اقتصادية في البلاد (تصدير الذهب واللحوم الحية والمذبوحة والمنتجات الزراعية)، ويستورد كل شيء تقريباً حتى القود.

٢- أقوى قوة عسكرية، وسيطر على كل المرافق الإستراتيجية بالعاصمة، وصار يملك كل أنواع الأسلحة عدا الطيران.

٣- علاقات دولية إقليمية وعالمية خارج مؤسسات الدولة.

٤- دور سياسي؛ حيث صار قائد «الدعم السريع» الرجل الثاني في المؤسسة الرسمية والائتلاف الحاكم لشريكي الحكم العسكريين والمدنيين منذ عام ٢٠١٩م حتى الحرب.

مع بداية الحرب في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، سيطر «الدعم السريع» على غالب أنحاء العاصمة السودانية وعلى غالب المرافق العسكرية، عدا القيادة العامة والمدرعات بالخرطوم ومنطقتي المهندسين وكرري بأم درمان وسلاح الإشارة ببحري؛ لأنه كان الأكثر استعداداً عدة وعتاداً، ولأن أكثر المواقع الإستراتيجية التي احتلها كان هو فيها ابتداء من قبل الحرب بدعوى حراستها، كل ذلك كان في الأشهر الأولى من الحرب.

متغيرات كثيرة حدثت مع تطاول أمد الحرب في الميدان العسكري وفي موازين القوى، لكن الذي لا شك فيه أن الحرب قد استنزفت موارد الدولة الضعيفة ابتداءً، وبلغت خسائر الدولة والقطاع الخاص والمواطن قرابة ٢٠٠ مليار جنيه خلال العام الأول.

وقد نزح ٨,١ ملايين إلى داخل السودان (إلى المناطق التي يسيطر عليها الجيش)، ولجأ وهاجر ٢,٢٥ مليون مهاجر للبحث عن الأمن وعن فرص للعمل وكسب العيش.

هذا فضلاً عن قرابة ١٣ ألف قتيل من القوات المسلحة، و١٠٠ ألف قتيل من «الدعم السريع»، وعدد كبير من القتلى والجرحى من المدنيين، إلى جانب ٥٠٧ حالات اغتصاب موثقة (معظم الحالات لا يتم التبليغ عنها) كل الحالات الاتهام فيها موجه لأفراد من «الدعم السريع».

ناهيك عن دخول لبيوت المواطنين ومتاجرهم ومحلات أشغالهم ونهب لممتلكاتهم، وتقدر السرقات فيها بـ٢٠٣ آلاف سرقة، كل هذه السرقات الاتهام فيها من المواطنين موجه إلى أفراد من «الدعم السريع».

كل هذا أورث وضعاً إنسانياً معقّداً جداً وصعباً في غياب شبه كامل من المؤسسات الإغاثية والصحية العالمية وانشغال العالم بالحرب الأوكرانية والحرب ضد قطاع غزة.

الحرب الآن من «الدعم السريع» المدعوم من دول إقليمية وعالمية تهدف إلى تقسيم السودان

فالحرب التي تدور رحاها الآن في السودان حرب على الدولة من «قوات الدعم السريع» المدعومة من دول إقليمية وعالمية بهدف تقسيم السودان، وعلى هذا فليست الحرب بموجهة فقط ضد جيش السودان، بل ضد السودان جميعاً؛ أرضاً وإنساناً، واعتداءات «الدعم السريع» التي تقع على المدنيين في المناطق التي ليست فيها معارك عسكرية، بل ليس فيها من الأساس قوة عسكرية شاهدة على هذا، وقع هذا في ولاية الجزيرة وفي ولاية غرب دارفور من قبل، وفي المثالين انسحبت القوات المسلحة فاستباحت «قوات الدعم السريع» كل شيء، وأعملت في الناس القتل، وتوجّهت إليهم بالنهب والسلب؛ الأمر الذي جعل المواطنين في الولايات الأخرى يتجهون إلى حمل السلاح وينتظمون في المقاومة الشعبية وفي حملات الاستنفار العام لحماية دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

الخيارات المحتملة لنهاية الحرب:

١- الذهاب إلى تفاوض كما حدث العام الماضي (منبر جدة) الذي لم يلتزم «الدعم السريع» بما تم الاتفاق عليه في الاتفاق الأوّلي.

٢- أن تنتصر القوات المسلحة ولو بعد حين وبتكلفة عالية، فيخرج «الدعم السريع» من العمل السياسي والعسكري، وهذا بالطبع الخيار الأمثل للجموع الغالبة من الشعب السوداني.

٣- أن ينتصر «الدعم السريع»، وهذا أسوأ احتمال وشر غائب ينتظر، وحينها سيتم تقسيم السودان إلى ٤ دويلات متصارعة؛ مما يمثّل تهديداً للإقليم بصفة عامة ولدول الجوار بصفة خاصة.■

الـدور الخارجـي المشبـوه في تأجيج الصراعات بالسودان

الحرب التي تدور رحاها في السودان، منذ منتصف أبريل ٢٠٢٣م، ليست معزولة عن سياق تاريخي طويل عاشه هذا البلد الأفريقي - العربي منذ ما قبل استعماره في عام ١٨٨٩م، ثم استقلاله بعد الحرب العالمية الثانية، لكن هذه الحرب تختلف بدرجة كبيرة من كل الحروب الأهلية التي عرفها السودان ودفع إنسانه ثمنها في استقراره ومآلات مستقبله، وهذا ليس فقط لكونها الحرب الطويلة الوحيدة التي شهدتها عاصمة البلاد، وألحقت بها من الدمار ما ألحقت، ولكنها أيضاً لارتباطها بكثافة التدخلات الخارجية والأجندات المتداخلة فيها.

في هذا المقال، سنحاول أن نعطي تفسيراً لهذا السياق الذي نتحدث عنه، وهو سياق تتداخل فيه الأجندات الداخلية والخارجية وتتشابك خيوطه.

العبيد أحمد مروح
سفيـــر سودانـــي سابـــق

ظل الصراع والتنافس بين المسيحية والإسلام حاضراً في السودان، بوجه من الوجوه، في كل التدخلات الخارجية وتأجيج الصراعات في هذا البلد ذي الموقع الجغرافي المتميز والغني بثرواته، ومتعدد الثقافات والأعراق والديانات، وظلت جذوة الحمية الإسلامية فيه متقدة؛ لذا لم يكن مستغرباً أن يشهد السودان «ثورة المهدي» ذات الهوية الإسلامية والأسلوب الجهادي (١٨٨١ - ١٨٨٩م)؛ فأسقطت الحكم التركي - المصري الذي كان قد أسقط السلطنة الزرقاء أو مملكة سنار الإسلامية، وقتل الثوار المهديون الجنرال البريطاني غردون باشا، حاكم عام السودان آنذاك.

كان يمكن للهوية الإسلامية واللغة العربية أن تتمددا في أفريقيا عبر السودان الذي كان أكثر بلد مؤهل لذلك، لكن الاستعمار البريطاني الذي أتى في أعقاب الحروب الصليبية فطن لذلك مبكراً، وبعد أن أسقط الدولة المهدية بعد غزوها في عام ١٨٨٩م إثر التعاون مع حكم الخديوي في مصر، عمد إلى إصدار ما عرف بـ«قانون المناطق المقفولة» الذي حددت بمقتضاه مناطق في السودان يُحرم على الأجانب والسودانيين دخولها أو الإقامة فيها دون تصريح رسمي، وشمل القانون ٧ مناطق متفرقة من السودان في دارفور وكردفان وجنوب السودان.

ومن مظاهر ذلك القانون حرمان السوداني الشمالي من إنشاء المدارس في الجنوب إذا سمح له بالإقامة فيها، وإذا تزوج بامرأة جنوبية فلا يستطيع أخذ أطفاله عند عودته إلى شمال السودان، وفي عام ١٩٢٢م انحصر قانون المناطق المقفولة على جنوب السودان، وفي عام ١٩٣٠م صدرت أحكام هدفها منع التجار الشماليين من الاستيطان في الجنوب، ووقف المد الثقافي العربي والدين الإسلامي من الانتشار في جنوب السودان، بل إن ارتداء الأزياء العربية التقليدية كالجلباب والعمامة كان محظوراً على الجنوبيين!

لكن هذه السياسة تم التخلي عنها فجأة بعد الحرب العالمية الثانية، وتحديداً عام ١٩٤٦م، ولكونها قد استمرت لأكثر من ٣٠ عاماً فقد أحدثت شرخاً عميقاً في نسيج

المجتمع السوداني، قاد لاحقاً إلى الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب في ٣ جولات من الحروب؛ بدأت الأولى في أغسطس ١٩٥٥م قبيل الاستقلال بتمرد تم إخماده في حينه، والثانية في عام ١٩٦٣م استمرت ٩ سنوات، والثالثة في عام ١٩٨٣م استمرت ٢٠ عاماً وانتهت باتفاقية «سلام شامل» قادت إلى استفتاء تقرير مصير للجنوبيين اختاروا على إثره أن تكون لهم دولتهم المستقلة.

الدورة الخبيثة

وطوال عمر الحكم الوطني في السودان، الذي استمر زهاء ٧٠ عاماً حتى الآن، لم تشهد البلاد حكماً مستقراً، ولم تجز برلماناتها المنتخبة دستوراً دائماً، وظل التقلب بين نظام ديمقراطي تعددي ونظام شمولي ذي طابع عسكري تطيح به ثورة شعبية تعقبها فترة انتقال قصيرة، ثم انقلاب مرة أخرى، يشكل ما اصطُلح على تسميته بـ«الدورة الخبيثة»، فقد شهد السودان عقب استقلاله قيام برلمانات منتخبة ٣ مرات أتت بحكومات تعددية أطاح بكل واحد منها انقلاب عسكري (١٩٥٨، ١٩٦٩، ١٩٨٩م)، ثم أطاحت ٣ ثورات شعبية (١٩٦٤، ١٩٨٥، ٢٠١٩م) بالأنظمة التي وصفت بالشمولية، أعقب ذلك فترة انتقال قصيرة وهكذا.

لكن اللافت في كل هذا الاضطراب السياسي أن موضوع الهوية الوطنية وعلاقة ذلك بالثقافة العربية والدين الإسلامي ظلا حاضرين، وظلت الضغوط الاقتصادية والسياسية الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً تتوالى على السودان، حتى في عهد الحكم الديمقراطي الذي أعقب سقوط نظام الرئيس نميري، حيث اشتدت المطالبة بإلغاء قوانين الشريعة الإسلامية، ولم يتوقف كذلك تدفق الأسلحة على متمردي الجنوب بقيادة جون قرنق حتى تمت الإطاحة بالحكم الديمقراطي (١٩٨٦ - ١٩٨٩م) حين استولى الرئيس عمر البشير على السلطة في انقلاب

الضغوط الاقتصادية والسياسية الغربية والأمريكية على السودان ظلت حاضرة حتى في فترة الحكم الديمقراطي

عسكري ثبت لاحقاً أن الجبهة الإسلامية القومية وقفت وراءه ودعمته، بدافع منع وقوع البلاد في أيدي المتمردين الذين بدؤوا يزحفون شمالاً تدعمهم القوى الخارجية التي لا تريد حكماً ذا توجه إسلامي أو حتى استقلالي في السودان.

وحينما تكشفت الهوية الإسلامية لحكم الرئيس البشير (١٩٨٩ - ٢٠١٩م) الذي تصادف وصوله للسلطة مع انهيار المعسكر الشرقي وتفكك الاتحاد السوفييتي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم، ومعها حلفاؤها الغربيون، سرعان ما بدأت الضغوط الكثيفة على النظام الجديد في السودان لكي يغير من توجهاته أو تتم محاصرته والإطاحة به.

واستغلت أمريكا الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها النظام، فضربت عليه حصاراً اقتصادياً استمر ٢٧ عاماً، وحصاراً دبلوماسياً ساعد في عزله عن جواره القريب والبعيد، وأسهم في احتضان معارضيه الشماليين بواسطة جيرانه، فضلاً عن توسيع دعمه للتمرد المسلح الذي تجاوزت مناطق سيطرته حدود المديريات الجنوبية إلى مناطق جبال النوبة والنيل الأزرق وشرق السودان، المحسوبة على الشمال، وحتى قبيل الاقتراب من الوصول إلى اتفاق السلام الشامل في عام ٢٠٠٥م برعاية أمريكية بريطانية نرويجية، نجحت جماعات ضغط غربية في إشعال الفتنة في دارفور بين من أسموهم القبائل ذات الأصول الأفريقية، وتلك المسماة ذات الأصول العربية من عرب الرزيقات الذين ينتمي إليهم محمد حمدان دقلو (حميدتي)، قائد «قوات الدعم السريع».

بعثة «يونيتامس»

كانت البعثة المشتركة للأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي في دارفور (يوناميد) تكاد تنهي مهامها في دارفور، عندما تمت الإطاحة بنظام «الإنقاذ» في أبريل ٢٠١٩م، ولتقديرات تخص رؤية السلطة الجديدة في السودان، بجناحيها العسكري والمدني، أرسل رئيس الوزراء عبدالله حمدوك خطاباً للأمين العام للأمم المتحدة يطلب منه إرسال بعثة أممية تحت «البند السادس» لـ«دعم الفترة الانتقالية في السودان»؛ فوافق مجلس الأمن الدولي على الطلب، وفي قرارين متتابعين تم إنهاء تفويض بعثة «يوناميد» وتكليف الألماني فولكر بيرتيس بترؤس بعثة محدودة العدد «يونيتامس» ولكن بصلاحيات واسعة، لتسهم في دعم الانتقال الديمقراطي في السودان.

الطريقة التي أدار بها بيرتس بعثته عززت الانقسام الداخلي في السودان، إذ عمد إلى عزل كل من شارك حزب المؤتمر

حينما تكشفت الهوية الإسلامية لحكم الرئيس البشير بدأت الضغوط الغربية على النظام لكي يغير من توجهاته

الوطني في الحكم خلال العقود الثلاثة الماضية، فضلاً عن الحزب نفسه، وعزز من الانقسام الداخلي محاولة السلطة المدنية الجديدة في الخرطوم في محاولات لإعادة هندسة المجتمع السوداني؛ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فألغت عدداً من القوانين والتشريعات الإسلامية، وسمحت بالربا في البنوك، وبدأت في تغيير المناهج الدراسية بحجة تخفيف الأعباء الدينية الإسلامية منها؛ مما زاد من التوتر والانقسام السياسي الداخلي.

لكن الأخطر من هذا هو الخطة التي أشرفت عليها بعثة الأمم المتحدة لدعم الفترة الانتقالية، وفُسرت على نطاق واسع بأنها تهدف لتفكيك وإعادة هيكلة

«يونيتامس» بتدخلها بالشأن الداخلي أرادت أن تعيد السودان إلى مصاف الدول الدائـرة فـي الفلـك الغربـي والعلمانـي

الجيش السوداني، بحجة أنه «جيش النظام الإسلامي» الذي تمت الإطاحة به، وذلك على قرار ما فعله بول بريمر في العراق، وإن اختلفت الطريقة والأسلوب، وكان مفهوماً أن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض حلفائها في الإقليم هم مَن يقفون وراء هذه الخطة!

الاتفاق الإطاري

ولكي تنجح هذه الخطة، كان لا بد من إحداث انقسام داخل الصف العسكري؛ أي بين القوات المسلحة السودانية و«قوات الدعم السريع»، وهنا يرجح على نطاق واسع أن البعثة الأممية مدعومة بقوى خارجية، ومعها القوى المدنية التي كانت حاكمة على أساس وثيقة شراكة دستورية مع الجيش، وبعد أن فضّ الجانب العسكري هذه الشراكة وانفراد بالسلطة في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢١م، هي مَن أشرفت على وضع ما عُرف لاحقاً بـ«الاتفاق الإطاري»، الذي هندس عمليتي العزل السياسي وتفكيك وإعادة هيكلة الجيش السوداني، وكانت من نتائج التحضير له، استقطاب قيادة «قوات الدعم السريع» إلى جانب هذا المشروع، حيث وُعدت -على أرجح الاحتمالات- أن تكون هي أساس الجيش الجديد، الذي ستعاد هيكلته ليحمي الديمقراطية والحكم المدني!

الخطة التي أشرفت عليها بعثة الأمم المتحدة (يونيتامس) كانت تهدف لتفكيك وإعادة هيكلة الجيش السوداني

وعلى الرغم من مظاهر التوتر والحشد العسكري الذي قامت به «قوات الدعم السريع»، منذ ديسمبر ٢٠٢٢م، وزيادة احتمالات المواجهة المسلحة بين الجيش السوداني تلك القوات، فإن البعثة الأممية برئاسة بيرتس، التي أتت أساساً للمساعدة في حل المصاعب التي قد تواجه فترة الانتقال، لم تحرك ساكناً، بل يعتبرها الكثيرون أنها -وبتأثير من قوى دولية وإقليمية- قد صبت الزيت على النار بتدخلها الكثيف في الشأن الداخلي السوداني، وبتعمدها عزل قوى سياسية وازنة داخل المجتمع السوداني، وأنها تريد بفعلها هذا، وبدعم خارجي مباشر، أن تعيد السودان إلى مصاف الدول الدائرة في الفلك الغربي والعلماني، وتعزز العلاقة مع «إسرائيل»، وتؤسس لقطيعة بين المجتمع والنظام السابق ذي الصبغة الإسلامية.

وهكذا قاد هذا كله إلى توتر أقصى بلغته الأحداث في ١٢ أبريل ٢٠٢٣م عندما توجهت قوة عسكرية مدججة بالسلاح من «قوات الدعم السريع» إلى مطار مدينة مروي، شمالي السودان، حيث توجد قوات من سلاح الطيران المصري في مهام تدريبية، وما لبثت الأوضاع أن انفجرت بعد ٣ أيام من ذلك حيث، هاجمت «الدعم السريع» المقار العسكرية للجيش السوداني في العاصمة وعلى رأسها القيادة العامة للقوات المسلحة، حيث يقيم رئيس مجلس السيادة والقائد العام واستشهد في تلك المعركة أكثر من ٣٠ ضابطاً وجندياً كانوا في حراسته.

كادت الحرب الآن أن تكمل شهرها الثامن عشر، وإن كان من شيء إضافي ميزها بشكل سافر، غير الفظائع والجرائم والانتهاكات التي حدثت فيها، فهو كثافة التدخل الخارجي في تأجيجها، وخاصة الإمداد بمختلف أنواع الأسلحة والذخائر والمتحركات، وكثافة تجنيد المقاتلين المرتزقة من دول غرب أفريقيا وشرقها، وحتى من جنوب السودان، للمشاركة في القتال بجانب «قوات الدعم السريع»، وقد وثقت لهذا بعثة خبراء الأمم المتحدة لمراقبة تدفق السلاح على دارفور والمنشأة بموجب قرار مجلس الأمن الدولي رقم (١٥٩١) الصادر في عام ٢٠٠٧م، التي تقدم تقاريرها الدورية إلى الأمين العام ومجلس الأمن، فضلاً عن توثيقه عن طريق تقارير عدد من مؤسسات الإعلام الدولية معتمدة على صور الأقمار الصناعية.■

ما يجري في السودان جزء من مؤامرة كبرى

لا يمكن فهم ما يجري في السودان إلا من خلال فهم جذور التآمر الغربي الاستعماري على كل من أفريقيا والعالم العربي والإسلامي، فالسودان البلد العربي الأفريقي يقع بين مطرقة التآمر على أفريقيا، وسندان التآمر على العالم العربي والإسلامي، ويمكن فهم المسألة فهماً أعمق إذا ما أخذنا في الاعتبار أيضاً التآمر الظاهر والخفي على الإسلام نفسه كدين.

جمـال خطـاب

في عام ١٨٨٤م دعت ألمانيا مختلف القوى الدولية لحضور مؤتمر في برلين، وانعقد المؤتمر في الفترة من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤م إلى ٢٦ فبراير ١٨٨٥م، وقد حضر المؤتمر ١٥ دولة أوروبية، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ بهدف تسوية وترتيب الظروف المناسبة من أجل تنمية التجارة والحضارة في مناطق معينة من القارة الأفريقية.

كان من نتائج المؤتمر إعلان الحماية على الصومال عام ١٨٨٤م، وقد كانت من المناطق التابعة لمصر، وضمت بتسوانا لاند وجنوب أفريقيا ونيجيريا وأفريقيا الشرقية (البريطانية!) وغينيا وسيراليون وساحل الذهب، وأعلنت حمايتها على أوغندا في عام ١٨٩٤م، وبسطت نفوذها على السودان باسم مصر.

تقول سابيل كرو، أستاذة القانون الدولي: إن المؤتمر حاول أن ينظم العلاقات بين القوى الاستعمارية على أسس قانونية محددة، ولكن الذي حدث هو التأسيس لتكالب استعماري على الموارد ومناطق النفوذ في القارة الأفريقية، وقد أسفر في النهاية عن احتكار الدول الكبرى للتجارة في المناطق الخاضعة لنفوذها.

حرب على الإسلام

وكان من نتائج مؤتمر برلين أن اعترف بالحبشة كقوة محلية أفريقية، لكونها مملكة نصرانية، وأعطاها الحق في استباحة أراضي الإمارات الإسلامية التي كانت تتركز على الساحل الأفريقي، وقتذاك، التي كانت تعرف بإمارات الطراز الإسلامي، وعلى إثر ذلك، ظهرت الحبشة كقوة إقليمية كبرى في المنطقة، وتم تحويل اسمها إلى إثيوبيا، على يد الإمبراطور منليك (١٨٨٩ - ١٩١٣م) الذي بزغ نجمه بمساعدة الدول الأوروبية.

وفي هذا الإطار، قام المستعمرون الأوروبيون بعد مؤتمر برلين بفصل شرقي أفريقيا عن الجزيرة العربية، وفصل غرب أفريقيا عن المغرب العربي، وفصل جنوب السودان عن شماله، وهكذا شكل السودان مجالاً حيوياً للحرب على الإسلام.

واستكمالاً لمؤتمر برلين، جاء مؤتمر «كامبل بنرمان» الذي عقد في لندن عام ١٩٠٧م؛ ليقنن النهب الأوروبي للعالم وخصوصاً العالم الإسلامي، وقد صنف المؤتمر العالم ٣ أصناف:

الأول: العالم المسيحي الذي يضم الدول الغربية الاستعمارية مع الولايات المتحدة ودول شمال أمريكا وأستراليا.

الثاني: الدول التي ينبغي احتواؤها كاليابان وكوريا.

الثالث: يضم الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث، التي تتميز بتواجدها على رقعة إستراتيجية تتمتع بالمواد الخام التي يمكن الاستفادة القصوى منها، ويربطها ببعضها دين واحد ولغة واحدة، هذه الدول التي يجب أن تبقى متخلفة ومفككة ومحتاجة إلى العالم المسيحي بشكل دائم، لضمان أقصى انتفاع الدول الاستعمارية من ثرواتها، ولضمان عدم اتحادها فيما بينها وقيامها تحت قيادة واحدة.

من نتائج مؤتمر برلين عام ١٨٨٤م إعلان الحماية على الصومال التي كانت من المناطق التابعة لمصر

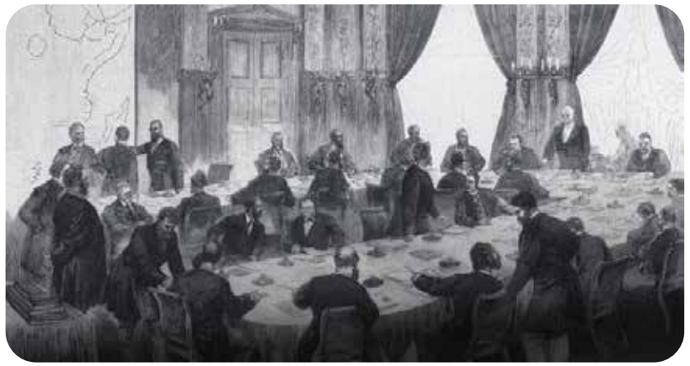

موارد للنهب لا للشعب

يحتل السودان موقعاً إستراتيجياً مهماً على البحر الأحمر جنوب مصر، وله حدود جغرافية مع ٧ بلدان أفريقية أخرى: مصر، ليبيا، تشاد، أفريقيا الوسطى، جنوب السودان، إثيوبيا، إريتريا.

يعد السودان من أغنى الدول العربية والأفريقية، فقد تم اكتشاف ثروات مهمة فيه خلال السنوات الأخيرة، إذ ينافس احتياطيه من البترول احتياطيات السعودية، كما يحتوي على حقول مهمة من الغاز الطبيعي وكميات من اليورانيوم على درجة كبيرة من النقاء، إضافة إلى كميات كبيرة من النحاس.

يلخص آفي ديختر، وزير الأمن الداخلي «الإسرائيلي» الأسبق، في محاضرة ألقاها في عام ٢٠٠٨م، الرؤية الإستراتيجية الصهيونية تجاه السودان بقوله: إن إضعاف السودان واستنزاف طاقاته وقدرته يعتبر واجباً وضرورة من أجل تعظيم قوة «إسرائيل» وإعلاء منعتها في مواجهة الأعداء، وهو ما يحتم عليها استخدام الحديد والنار تارة، والدبلوماسية ووسائل الحرب الخفية تارة أخرى.

وقال: إن السودان، بموارده ومساحته الشاسعة، من الممكن أن يصبح دولة إقليمية قوية، وإنه يشكل عمقاً إستراتيجياً لمصر، وهو ما تجسّد بعد حرب عام ١٩٦٧م، عندما تحول إلى قواعد تدريب وإيواء لسلاح الجو المصري والقوات الليبية، كما أنه أرسل قوات مساندة لمصر في حرب الاستنزاف عام ١٩٦٨م، وبناء عليه، بحسب ديختر:

- يجب ألا يسمح لهذا البلد بأن يُصبح قوة مضافة إلى قوة العرب.

- لا بدَّ من العمل على إضعافه وانتزاع المبادرة منه لمنع بناء دولة قوية موحدة فيه.

- سودان ضعيف ومجزأ وهشّ أفضل من سودان قوي وموحّد وفاعل.

- ما سبق يمثّل من المنظور الإستراتيجي ضرورة من ضرورات الأمن القومي «الإسرائيلي».

ينهي ديختر محاضرته قائلاً: أريد أن أنهي تناولي للمحور السوداني في هذه المحاضرة بتأكيد أن إستراتيجيتنا التي ترجمت على الأرض في جنوب السودان

السـودان مـن أغنـى الدول العربيـة والأفريقيـة فقد تم اكتشـاف ثروات مهمـة فيه بالسنوات الأخيـرة

سابقاً وفي غربه حالياً استطاعت أن تغير مجرى الأوضاع في السودان نحو التأزم والتدهور والانقسام.

وأضاف: أصبح يتعذر الآن الحديث عن تحول السودان إلى دولة إقليمية كبرى وقوة داعمة للدول العربية التي نطلق عليها دول المواجهة مع «إسرائيل»، فالسودان في ظل أوضاعه المتردية والصراعات المحتدمة في جنوبه وغربه وحتى في شرقه غير قادر على التأثير بعمق في بيئته العربية والأفريقية؛ لأنه متورط ومشتبك في صراعات ستنتهي إن عاجلاً أو آجلاً بتقسيمه إلى عدة كيانات ودول.

هذا ما صرح به ذلك الصهيوني، فمتى ننتبه لما يدبَّر، ونخطط لا كما خططوا لنهب مقدرات الشعوب، ولكن للتصدي لمؤامراتهم وإحباطها محافظة على شعوبنا ومقدراتنا؟!■

مسؤول صهيوني: إضعاف السودان واستنزاف طاقاته وقدراته ضرورة من أجل تعظيم قوة «إسرائيل»

أثر التدخلات الخارجية على الصراع في السودان

البعثة الأممية لم تلتزم الحياد فقد كانت ظهيراً للشق المدني بالحكومة دون العسكري ما عقَّد المشهد

بدر الدين حسين علي
صحفـي ومحـلل سياسـي سودانـي

الصراع الذي حدث في السودان بين القوات المسلحة و«قوات الدعم السريع»، في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، لم يكن العامل الأيديولوجي، أو العسكري، المحرك الأساسي لهذا الصراع، وإن كانت الأطماع الشخصية والنزعات السلطوية من ضمن عوامل كثيرة دفعت باتجاه الصدام المسلح.

إلا أن العامل الأكثر تأثيراً في الصراع كان العامل الخارجي، الذي ظل أثره واضحاً من قبل الوصول إلى نقطة الصراع المسلح، فالناظر إلى نشأة الثورة السودانية التي اقتلعت نظام الرئيس عمر البشير يمكن أن يدرك تماماً بروز العامل الخارجي بدرجة كبيرة في أحداث هذا التغيير.

فالولايات المتحدة الأمريكية وفي إطار نظرية «الفوضى الخلاقة» التي هدفت لتشكيل واقع جديد في الشرق الأوسط، لم تكن لتترك السودان بعيداً عن هذه العملية، لاعتبارات عديدة، في مقدمتها موقع السودان الإستراتيجي، الذي تعتبره أمريكا مفتاحياً لتواجدها ورعاية مصالحها في أفريقيا، إضافة لأهمية تأمين حلفائها على البحر الأحمر، وإبعاده عن صراعات القوى على مستوى النظام الدولي.

كما أن نظام البشير الذي يسنده الإسلاميون في السودان كان يشكل هاجساً للإدارات الأمريكية المتعاقبة، خاصة بعد الصعود المتوالي للإسلاميين في ليبيا وتونس ومصر وغزة في فلسطين؛ ما جعلهم يستشعرون خطر الأنموذج السوداني الذي سعى من خلال المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي في مرحلة من مراحله لتوحيد الشعوب العربية والإسلامية، واعتبرته الإدارة الأمريكية خطراً جندت كل طاقاتها من أجل تفكيكه، وقد نجحت في ذلك.

الصناعة الخارجية للثورة

وهذا يجعلنا وفقاً لواقع الحال، ومعطيات الثورة السودانية ويومياتها، أن نلامس حقيقة الصناعة الخارجية لهذه الثورة، التي لم تكن الدوائر الغربية حريصة على إخفاء معالمها، فقد تجاوز معظم سفراء الغرب والعرب المشاركون في صناعة هذه الثورة ورعايتها الأعراف الدبلوماسية، بالظهور علناً وسط الثوار في اعتصامهم أمام بوابات القيادة العامة للقوات المسلحة السودانية.

ثم امتد هذا التدخل ليشمل التشاور مع هذه الدوائر الغربية في كيفية تكوين الحكومة المدنية، التي كانت عبارة عن وزراء يحملون جنسيات مزدوجة، مع رئيس وزراء يتقاضى راتبه ومخصصاته من الاتحاد الأوروبي، وكان من الطبيعي في وضع كهذا أن تضغط هذه الدوائر الغربية على رئيس وزراء الفترة الانتقالية في السودان من أجل تقديم طلب للأمم المتحدة، طالباً بعثة سياسية تحت «البند السادس»؛ وهو ما زاد من تعقيد المشهد السياسي السوداني، ووضع الحكومة في شبه

الاتفاق الإطاري كان أكبر مظاهر التدخلات الخارجية بعد إقناع الدوائر الغربية قائد «الدعم السريع» به

وصاية أممية، غير أنها كانت بأجندة دول بعينها.

هذه البعثة الأممية لم تلتزم الحياد، فقد كانت ظهيراً للشق المدني في الحكومة دون الشق العسكري؛ ما عمل على تعقيد المشهد السياسي السوداني، بل إن البعثة الأممية وبقيادة رئيسها فولكر بيرتس أعدت مشروع الاتفاق الإطاري لحكم السودان، الذي عمدت فيه لجعل بند دمج «قوات الدعم السريع» في القوات المسلحة السودانية يتم خلال ٢٠ عاماً، في الوقت الذي ترى القوات المسلحة أن يتم الدمج خلال عامين فقط.

وهذه الجزئية بالتحديد كانت مربط الفرس في سعي البعثة والمكون المدني في جعل «الدعم السريع» بديلاً للجيش السوداني، في إطار خطة أمريكية-«إسرائيلية» لتفكيك الجيش السوداني الذي يشكل عظم الدولة السودانية، ليسهل بعد ذلك تقسيم السودان وتوزيع مناطق النفوذ فيه.

وكان الاتفاق الإطاري أكبر مظاهر التدخلات الخارجية في الشأن السوداني خاصة بعد أن أقنعت الدوائر الغربية قائد «قوات الدعم السريع» بالتضامن الكامل مع الشق المدني بأن مخرج السودان السياسي يكمن في التوقيع على الاتفاق الإطاري.

ولعل مما يدلل على ذلك السؤال الذي وجهه أحد الصحفيين لقائد «الدعم السريع» محمد حمدان دقلو، في مؤتمر صحفي عقده بعد عودته من دارفور عقب لقاء مشهود جمعه هناك برئيس بعثة الأمم المتحدة في السودان بيرتس، حيث أعلن قائد «الدعم السريع» في هذا المؤتمر تبنيه للاتفاق الإطاري، فباغته الصحفي بسؤال كانت صيغته: هل اطلعت على الاتفاق الإطاري؟ وكانت إجابة قائد «الدعم السريع» النفي بـ«لا».

ومن هنا بدأ الصراع الحقيقي بين القوات المسلحة السودانية و«قوات الدعم السريع»، والذي هو جزء من القوات المسلحة وفقاً لقانون أنشأ هذه القوات، وقد تصاعدت الخلافات إلى أن وصلت مرحلة الصدام المسلح الذي وضح من خلاله التقاطعات الخارجية في الحرب السودانية، حيث برزت أشكال هذا التدخل من خلال العديد من المواقف والدلالات.

الدعم الإقليمي والدولي

وأول هذه التدخلات برزت من خلال الدعم غير المحدود الذي قدمته دولة إقليمية معروفة لـ«قوات الدعم السريع» بكل أشكال وأنواع الدعم العسكري، وهذا الدعم تم بترتيب وموافقة أمريكية بريطانية «إسرائيلية»؛ وهذا ما جعل مشاركة عرب الشتات في هذه الحرب من تشاد والنيجر وليبيا وغيرها من الدول تحت سمع وبصر حكومات هذه البلاد، التي أخذت الضوء الأخضر الأمريكي، حتى أصبحت المطارات التشادية مطارات عسكرية لتزويد «الدعم السريع» بالسلاح، كما أنشئت معسكرات في صحراء ليبيا وفي تشاد لتزويد المليشيا بالمقاتلين.

وقد وصل حجم التدخل في السودان لدرجة مشاركة نحو ١٨ دولة في الحرب على السودان، حسب إفادة لقائد الجيش السوداني.

لا شك أن هذه التدخلات الخارجية في الشأن السوداني انطلقت من مصالح وتقاطعات لكل هذه الدول في السودان وأفريقيا، إلا أن الوصول بالسودان إلى مرحلة الحرب قد جعل تكلفة هذه المصالح باهظة الثمن، كما أثر تأثيراً كبيراً على التوازن الدولي.

أول التدخلات كان الدعم غير المحدود من دولة إقليمية لـ«الدعم السريع» بموافقة أمريكية «إسرائيلية»

إنهاء الحرب ليس في يد السودانيين وإنما في قرار دول خارجية تتقاطع مصالحها في السودان

وقد تجلى ذلك بصورة كبيرة في الانفتاح السوداني على الحلف الروسي الصيني التركي الإيراني، بعد أن قامت أمريكا وبريطانيا بإغلاق كل منافذ مد الجيش السوداني بالسلاح، وإعاقة كل صفقات السلاح التي حاول الجيش السوداني إبرامها، هذا الضغط الذي مورس على حكومة السودان جعلها تتجه نحو الحلف الروسي؛ ما جعل أوراق اللعبة تختلط على الإدارة الأمريكية، التي لن تجد مفراً غير محاولة إرضاء الحكومة السودانية، وكعادة أمريكا فإنها ستبدأ في تغيير مواقف الدول المجاورة للسودان، وترسل عبرها رسائل إلى السودان، وربما تعمل على إيقاف الحرب بالضغط على الدولة الإقليمية الداعمة والدول المجاورة للسودان المشاركة في الحرب، إضافة لتضييق الخناق على «قوات الدعم السريع».

لأن أمريكا تعلم أن توقيع أي معاهدات عسكرية بين روسيا والسودان وفي ظل تطور العلاقات السودانية الإيرانية، فإن ذلك يعني انتهاء الحرب لصالح الجيش السوداني، وهذا سيولّد واقعاً جديداً بعد الحرب، قد يفضي إلى قيام حكومة جديدة رافضة للتعاون مع كل الدول التي كانت سبباً مباشراً في إشعال الحرب، وربما تكون رافضة لمبدأ التطبيع مع «إسرائيل»؛ ما يقوض كل المصالح الأمريكية في القارة الأفريقية.

فهل تسارع أمريكا لوقف الحرب متخذة طريق التفاوض وسيلة لذلك، أم تنجح روسيا في إبرام اتفاقية عسكرية تكتب نهاية الحرب في السودان؟

كل المؤشرات تذهب باتجاه أن إنهاء الحرب ليس في يد السودانيين، وإنما في يد دول خارجية تتقاطع مصالحها في السودان، وهي القادرة على إيجاد المخرج لهذا الصراع.■

الأصابع الصهيونية في القارة الأفريقية ودورها في السودان

في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، والسودانيون يتجهون إلى أعمالهم، انفجرت المواجهات العسكرية الدموية بين الجيش السوداني و«قوات الدعم السريع» في مدينة الخرطوم، بعد إحباط ما قال الجيش: إنها عملية هجوم على وزارة الدفاع التي كان يقيم فيها الفريق عبدالفتاح البرهان، رئيس مجلس السيادة القائم بأعمال رئيس الجمهورية الانتقالي، وما يزعم «الدعم السريع» أنها مؤامرة دبرها البرهان بالتعاون مع فلول النظام البائد للتخلص من «الدعم السريع».

وائـــل علـــي
كاتـب وباحـث في الشـؤون السياسيـة

لم يكن اندلاع الحرب مفاجئاً للمراقبين السودانيين الذين كانوا يحذرون من خطر التنافس الحاد بين قائد الجيش عبدالفتاح البرهان، وقائد «الدعم السريع» محمد حمدان دقلو (حميدتي)، الذي تسبب في إذكائه الاتفاق الإطاري الذي رعته الأمم المتحدة، والذي يجرد البرهان من شركات الجيش، بينما يسمح لحميدتي بإبقاء شركاته وجيشه لمدة ١٠ سنوات.

لقد كانت قضية التطبيع مع «إسرائيل» أحد أبرز مظاهر التنافس بين البرهان، وحميدتي، فقد كان الرجلان يتنافسان على التطبيع مع الكيان الصهيوني لكسبه كحليف ضد الطرف الآخر، وقد انتصر حميدتي في النهاية على البرهان وحظي بالدعم «الإسرائيلي» ومن خلفه الدعم الغربي والأمريكي، رغم أن وسائل الإعلام الغربية تهاجم حميدتي وتتهمه بتمويل الحرب الروسية على أوكرانيا بالذهب السوداني، وبانتهاك حقوق الإنسان، لكن في انتصاره وتحكمه بالسودان مصلحة «إسرائيلية» كبرى.

مرحلة انتقالية متعثرة

لقد عانى السودان منذ سقوط نظام عمر البشير، في أبريل ٢٠١٩م، من مرحلة انتقالية متعثرة، وفوضى شاملة، وغياب للمؤسسات الدستورية والقانونية، تخللتها مغامرات دبلوماسية، مثل التطبيع مع الكيان الصهيوني الذي يعاديه الشعب السوداني، والتوقيع على ما عرف بـ«الاتفاق الإبراهيمي» الذي وقع عليه وزير عدل حكومة حمدوك بعد ابتزاز الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب للحكومة السودانية بتوقيع اتفاق التطبيع لإزالة اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب.

لم تكن الابتسامات الصفراء التي خرجت من وزير الخارجية «الإسرائيلي» إيلي كوهين، وقائد الجيش البرهان، عند زيارته للخرطوم عام ٢٠٢٠م، تعني نهاية العداء «الإسرائيلي» للسودان، فقد استمرت «إسرائيل» تكيد للسودان بالخفاء، خصوصاً بعد انتخاب الرئيس الأمريكي جو بايدن، وبعد أن خرجت مظاهرات عدة في الخرطوم ترفض التطبيع مع «إسرائيل»، وعدم حماسة الإدارة السودانية على خطوة إضافية في العلاقات بعد أن زالت الضغوط الأمريكية.

قضية التطبيع مع «إسرائيل» كانت أحد أبرز مظاهر التنافس بين البرهان وحميدتي لكسبها كحليف ضد الآخر

فقد صرح البرهان بعد فوز بايدن أن العلاقة مع «إسرائيل» لم ترقَ لمستوى التطبيع، بل هي علاقات حسن نوايا، وأنه لا فرق بين العلاقة مع «إسرائيل» بالعلاقة مع سويسرا، ورغم أن هذا الخطاب لا يعادي «إسرائيل»، فإن الكيان اعتبر عدم الذهاب إلى علاقات تحالف علنية انقلاباً سودانياً عليها؛ ما جعل «إسرائيل» تساعد قائد «الدعم السريع» للسيطرة على السلطة.

كشفت صحيفة «هآرتس» العبرية (المعارضة لحكومة بنيامين نتنياهو) عن قيام «إسرائيل»، في مايو ٢٠٢٢م وقبل عام من الحرب، ببيع منظومات اتصالات وتجسس قادرة على تحويل الهاتف الذكي إلى أداة تنصت لـ«قوات الدعم السريع»، وأنهم أخذوا هذه المنظومة وقاموا بتشغيلها في دارفور بعيداً عن أعين الجيش السوداني، كما أن «إسرائيل» سلمت «قوات الدعم السريع» منظومة اتصالات فائقة الأمان حتى تكون اتصالاتهم بعيداً عن أعين الجيش.

وبذلك تكون «إسرائيل» شريكة لحميدتي في الإعداد للحرب، وتعلم توقيت ساعة الصفر التي كان يفترض أن يتحرك فيها للانقضاض على الحكم، وقد تكون نسقت ذلك بالتعاون مع أصدقائها العرب والأفارقة.

وقد نشرت شركة «MILITARY AFRICA» على موقعها بالإنترنت تقريراً يتحدث عن وجود بنادق «إسرائيلية» متطورة من نوع «GALIL ACE ٣١ CARBINE» في أيدي مقاتلي «قوات الدعم السريع»، بالإضافة إلى قاذفات صواريخ «إسرائيلية» من نوع «LAR ١٦٠» من عيار ١٦٠ ملم، يبلغ مداها ٤٥ كيلومتراً، وتستطيع قذف

«هآرتس»: «إسرائيل» باعت منظومات اتصالات وتجسس لـ«قوات الدعم السريع» بعيداً عن الجيش السوداني

٢٦ صاروخاً في الضربة الواحدة؛ ما يؤكد أن الكيان الصهيوني شريك لـ«قوات الدعم السريع» في جرائمها ضد المدنيين السودانيين بما في ذلك الإبادات الجماعية التي حدثت في الجنينة والجزيرة.

وقد صرح مستشار قائد «الدعم السريع» على فضائية «مكان» الصهيونية الناطقة بالعربية في بداية الحرب أن «الدعم السريع» تواجه نفس أعداء «إسرائيل» وهم الجماعات الإرهابية الذين يمثلهم الجيش السوداني.

الكيان الصهيوني شريك لـ«الدعم السريع» في جرائمها ضـد المدنيين السودانيين بما في ذلك الإبادات الجماعيـة

ورغم ذلك، فإن الجيش السوداني اختار الصمت على هذه الانتهاكات؛ حتى لا تتدخل «إسرائيل» علناً لدعم «قوات الدعم السريع»، لكن مندوب السودان الحارث إدريس في شكواه إلى الأمم المتحدة الشهر قبل الماضي، ضمّن معلومات خطيرة؛ وهي وجود ضباط مخابرات من جنسية غير عربية بالتواجد مع مستشار حكومة عربية في دولة تشاد، هم الجنرال أيان لوتان، ود. نحمان شاي، ومعين تشين، في ١٢ نوفمبر ٢٠٢٣م، في مطار أم جرس التشادي؛ لتنسيق هجمات «الدعم السريع» على مواقع الجيش السوداني، وهذه الأسماء يبدو أنها لشخصيات «إسرائيلية»، وأن المسؤول السوداني لسبب ما امتنع عن ذكر جنسية هذه الشخصيات، ولعل ذلك من أجل ألا تعترض «إسرائيل» على الشكوى السودانية من خلال نفوذها على الحكومة الأمريكية.

السودان هاجس الكيان الصهيوني الكبير بسبب موارده الطبيعيـة وأراضيـه الزراعيـة التي تمنع حصـاره وتجويعـه

تغذية الحرب

لقد تولت «إسرائيل» تغذية الحرب عبر حلف من دول جوار السودان المرتبطة بها مثل إثيوبيا ورواندا وأوغندا وكينيا وجنوب السودان وتشاد التي تعددت مهام كل دولة منها، ما بين استضافة قائد «الدعم السريع»، وتوفير الوقود للمليشيا، واستغلال الاتحاد الأفريقي لفرض اتفاق يلغي سيادة السودان عبر نشر قوات أممية لنزع سلاح الجيش الوطني السوداني.

إن السودان هو هاجس الكيان الصهيوني الكبير بسبب موارده الطبيعية وأراضيه الزراعية التي تمنع حصاره وتجويعه، وهو سند للأمة العربية والإسلامية للاستغناء تماماً عن الحبوب الروسية والأوكرانية وغيرها، بالإضافة إلى الخضار والفاكهة واللحوم وتحقيق الأمن الغذائي؛ ولذلك فإن الكيان الصهيوني لا يمكن أن يقبل بتطبيع مع السودان بصورته الحالية مهما قدم نظامه من تنازلات واعترافات؛ لأن حجم السودان أكبر مما ينبغي أن يكون كما يعتقد الصهاينة.

ففي فترة حكم الرئيس السابق عمر البشير أعلنت الحكومة السودانية الموافقة على «مبادرة السلام العربية» في عام ٢٠٠٢م، وشارك مبعوث رئاسي سوداني في مشاورات أنابوليس في عام ٢٠٠٧م، وأظهر وزير الخارجية السوداني السابق إبراهيم غندور مرونة في إمكانية التطبيع الأحادي مع الكيان على غرار مصر والأردن، لكن «إسرائيل» كانت تصر إصراراً على تفكيك السودان ودعم الحركات المسلحة والنزاعات العرقية

إن «إسرائيل» تشعل الحروب والأزمات لتجد سوقاً واعدة لتجار السلاح الصهاينة، وإن أفريقيا إحدى الأسواق المفترضة للبضاعة الصهيونية القاتلة؛ ولذلك فإن «إسرائيل» تستثمر في مشكلات القارة السمراء ونزاعاتها العرقية والإثنية والدينية.■

يعيش السودان اليوم بسبب الحرب الداخلية المستعرة صراعاً سياسياً، وأمنياً، واجتماعياً شديد الخطورة على كيان الدولة، ويكاد يعصف بها من القواعد، وهو بلا أشك منعطفٌ أشد خطورة من ذلك الذي كان قد أفضى لانفصال جنوب السودان في يوليو ٢٠١١م.

إن الذي يحدث للسودان جراء مخططات دولية بمساندة إقليمية، تتردد أصداؤه في صحراء الانكسار والتراجع العربي، صحراء لم تبد فيها جُدر الأمل إلا كبقايا أطلال دواسر لا تستثير شيئاً غير البكاء بسِقط اللّوَى بين الدَّخولِ فَحومَلِ، فالسودان اليوم كطفل يتيم ملتاع فقد السند ويحدوه الأمل في عشيرته الأقربين ليقيلوا عثرته ويضموه إلى حضنهم.

الجامعـة العربيـة.. والـدور المفقـود في الأزمـة السودانيـة

د. ياسر محجوب الحسين
كاتـب وأكاديمـي سودانـي

يكفي المرء التأمل بحسرة في تفاعلات الأحداث العربية خلال العقود القليلة الماضية، فسرعان ما يصل إلى حقيقة مأساة الوضع العربي، الذي لم يعد مأزوماً بعجز جامعتهم عن القيام بأي فعل إيجابي فحسب، بل بغياب تام عن المسرح إقليمياً قبل أن يكون دولياً؛ فالجامعة العربية غدت هيكلاً بلا معنى أو مضمون، ولا تُحِسّ منها فعلاً أو تكاد تسمع لها ركزاً.

لم يكن السودان سعيداً ببيان القمة العربية الأخيرة التي انعقدت في البحرين، في مايو الماضي؛ وقد كان يُنظر لها باعتبارها أول قمة تصادف هذا المنعطف الذي يمر به فتصاعدت آماله فيها حتى لامست عنان سمائه المكفهرة.

ورغم أن الفقرة الخاصة بالسودان تضمنت في بيان القمة: «كامل التضامن مع السودان، في الحفاظ على سيادته واستقلاله ووحدة أراضيه والحفاظ على مؤسسات الدولة السودانية وفي طليعتها الجيش القومي»، غير أن البيان حث في ذات الوقت الحكومة السودانية ومليشيا «الدعم السريع» المتمردة على الجيش، على ما أسماه بالانخراط الجـــاد والفعـــال مـــع مبادرات تسوية الأزمة.

ولأن بيانات الجامعة العربية وقراراتها لا تتحاز إلى الصواب طالما هناك ولو عضو واحد له اعتراض على رأي اتسم برضا الأغلبية، فإنها تخرج مشوهة لاستيعاب ذلك الاعتراض إرضاء لمن يخالف الأغلبية؛ فقد تجاوز البيان في هذه الفقرة وتغاضى عما اتفق عليه في ذات البيان بالحفاظ على طليعة مؤسسات الدولة السودانية، وهي القوات المسلحة كما أقر بذلك البيان نفسه، ليساوي لاحقاً بين الجيش والقوات المتمردة عليه التي تحولت إلى مليشيا إرهابية ترتكب جرائم إبادة جماعية، وجرائم ضد الإنسانية، وهذا ليس توصيف الحكومة السودانية، بل إن هذه الحقائق المؤلمة مشت على الأرض، وجاءت بها تقارير الأمم المتحدة، وتقارير صحفيـــة دوليـــة ذات مصداقية عالية.

لكن بيان الجامعة دعا اعتسافاً الجيش

الجامعة العربية غدت هيكلًا بلا معنى أو مضمون ولا تُحِسّ منها فعلًا أو تكاد تسمع لها ركزاً

.. وبتركيبتها الهيكلية ونسق قرارها البيروقراطي لم تتمكن من اتخاذ قرارات تحقق الأحلام العربية

منذ عقدين أحيلت قضايا السودان إلى غرفة الإنعاش الأفريقية ولم يعد للجامعة العربية مساهمة تُذكر

السوداني لإجراء «تسوية» مع المليشيا لحل الصراع، وهذا يعني تجاوز الجرائم، والقفز نحو مقاربة سياسية تعطي المليشيا مشروعية أخلاقية مفقودة قبل أن تعطيها مشروعية سياسية تعيد بها إنتاج الأزمة مستقبلاً، وكان من المأمول إدانة تمردها على القوات المسلحة ثم ارتكابها جرائم إرهابية ليس ضد القوات المسلحة فحسب، وإنما ضد المواطن السوداني الأعزل الذي طردته من بيته، واغتصبت عرضه، ونهبت أمواله.

الأهمية الإستراتيجية

لا شك أن فكرة جامعة الدولة العربية بقيت فكرة حالمة تتأسس على أشواق تعتمل في نفس كل عربي، لتحقيق الوحدة، والتضامن، والرخاء الاقتصادي، وقيام تجمع قوي، ومؤثر إقليمياً ودولياً، ويعكس الثراء الثقافي، والقيمي للمنطقة، وشعوبها فضلاً عن ثرائها الطبيعي بموارد الطاقة، والمياه، والثروات الحيوانية.

غير أن الجامعة العربية بتركيبتها الهيكلية ونسق قرارها البيروقراطي الذي يتخذ من المنطقة الرمادية سكناً وموئلاً، لم تتمكن البتة من اتخاذ قرارات قادرة على تحقيق الأحلام العربية.

المفارقة المدهشة أن الجامعة العربية تضم أكبر دولة زراعية تلقب بـ«سلة غذاء العالم العربي»؛ وتضم في الوقت نفسه أكبر دولة مستوردة للقمح في العالم!

لقد ظلت جهود الجامعة العربية بشأن التكامل الاقتصادي لا تنفك من دائرة الترويج الدعائي، ومنتديات أدمنت فن العلاقات العامة، وظلت اجتماعات ودعوات المجلس الاقتصادي العربي تسمعنا ضجيجاً ولا نرى منها طحيناً، فلا الجامعة باعتبارها منظمة إقليمية أظهرت إرادة قوية، ولا الدول الأعضاء كأفراد أظهرت تلك الإرادة، والنتيجة فشل جمعي وهو حاصل جمع الفشل الفردي.

ما لم تعد الأموال العربية التي أصابت بنوك أمريكا وأوروبا بالتخمة إلى أوطانها لن يفلح العرب ليس في تحقيق الوفرة الاقتصادية، ولكن حتى في رتق الفجوة، وسد رمق جموع ملايين الفقراء في الوطن العربي المأزوم بالاستسلام للإستراتيجيات الغربية المعادية، والداعمة لـ«إسرائيل» الدولة الغاصبة.

البُعد الجيوساسي

إن وجود ١٠ دول عربية تجمع بين عضوية الجامعة العربية والاتحاد الأفريقي يمكن أن يمثل دافعاً قوياً لمسيرة تعاون إستراتيجي عربي – أفريقي؛ خاصة أن أكثر من نصف العرب يعيشون في أفريقيا (نحو ٦٠%)، وأن ٢٥% من الأفارقة هم عرب، وأكثر اللغات التي يتحدث بها أهل أفريقيا العربية.

منذ نحو أكثر من عقدين أحيلت قضايا السودان إلى غرفة الإنعاش الأفريقية؛ ولم يعد للجامعة العربية أي مساهمة تُذكر عدا مساهمة قطر في توقيع سلام دارفور في يوليو ٢٠١١م، ولعل الحكومة السودانية مدينة بشدة لمواقف الاتحاد في ذلك الوقت بشأن عدد من قضايا البلاد الراهنة، منها موقفه من المحكمة الجنائية الدولية التي تسعى لمحاكمة الرئيس السوداني، وذلك على عكس مواقف الجامعة العربية؛ ففي القمة العربية في نواكشوط عام ٢٠١٦م طالب السودان الجامعة العربية بموقف مماثل لموقف الاتحاد الأفريقي الذي كان قد اتخذ قراراً بعدم التعامل مع المحكمة الجنائية الدولية، ولكن دون جدوى.

بعد انفصال جنوب السودان في عام ٢٠١١م، نصب العرب البُكائيات في مختلف أرجاء الوطن العربي حُزناً على انفصال جزء عزيز من الوطن الكبير، وبعيداً عن التفاعلات الداخلية، والتاريخية التي أدت إلى مآل الانفصال؛ نستطيع أن نقول: إن انفصال جنوب السودان كان نتيجة حتمية لخلل هيكلي في الأمن القومي العربي، هذا الأمن المختل أضاع فلسطين، وما زالت هناك العديد من المهددات التي تتربص بهذا الوطن.

الأمن القومي بمفهومه الشامل يتضمن الجوانب الاقتصادية مثلما يتضمن الجوانب السياسية، ولم تتحرك الجامعة العربية تجاه السودان بما يكفي بمنظور اقتصادي أمني، حيث إن الخُذلان العربي للسودان في جانبه الاقتصادي يتضاءل ويتواضع أمام الخُذلان السياسي العسكري.

إن هناك إحساساً مرّاً لدى السودانيين بأن بعضاً من الدول العربية تنظر للأزمة الحالية في السودان بأنها مجرد مشكلة أفريقية، أو شبه عربية، أو أنه صراع غير إستراتيجي، ولا يتعلق بأمن المنطقة العربية فلا يقتضي التعامل معه كذلك.

ويبدو أن الجامعة العربية تنخرط بوعي، أو بغير وعي، في المخطط الدولي الغربي الإستراتيجي الهادف إلى تجزئة وتفتيت الدول العربية ذات الوزن الجيوسياسي الغنية بالثروات الطبيعية والبشرية، ليبقى دورها تلطيف المخطط والتمهيد له وتمرير وشراء الوقت اللازم لإنجازه عبر الإنهاك العام، ومن خلال الجيل الرابع من الحروب غير المتماثلة الذي يتمظهر في خلق حروب داخل الدول المستهدفة عبر مليشيات جهوية، وعنصرية تؤدي لإعلان انفصال أقاليم تابعة لها، فتحقق تلك الدول الاستعمارية بذلك هيمنتها، وإرادتها من غير أن تبعث بجندي واحد إلى أرض المعركة وإراقة دمه وتراق عوضاً عن ذلك دماء أبناء الدولة المستهدفة.■

الخبير العسكري السوداني العميد نجم الدين عبد المحمود لـ«المجتمع»:

دعـم صهيونـي ودولـي وإقليمـي مرصـود لتمزيـق وحـدة السـودان

أكد الخبير العسكري السوداني العميد نجم الدين عبد المحمود أن السودان بحاجة ماسة إلى وفاق سياسي يرافقه استقرار مجتمعي، ويصاحبه ازدهار اقتصادي لإخراج البلاد مما هي فيه الآن، وقال: إن الشعب السوداني من أكثر شعوب الأرض معاداة لـ«إسرائيل»، وأن هناك أصابع صهيونية ودولية وإقليمية وراء إشعال الحرب في السودان من أجل تنفيذ مشروع تمزيق وحدة السودان.

وواصل الحديث عن آفاق مستقبل السودان وكل ما يتعلق به في هذا الحوار مع «المجتمع».

حوار– مجاهد الصوابي:

ما مستقبل السودان في ظل الصراع المتواصل اليوم؟

– لا شك أن السودان في ظل هذه الصراعات بحاجة ماسة إلى وفاق سياسي أولاً، يرافقه وفاق اجتماعي، ومن ثم ظهور أحزاب سياسية لها برنامج واضح وتحظى بإجماع من قبل الشعب السوداني، ومن ثم يحدث هذا الاستقرار السياسي المنشود، ويتبعه استقرار اقتصادي.

هذا الصراع أصبح تاريخياً منذ الاستقلال التي كانت كلها فترة صراعات، وقبيل خروج الاحتلال من بلادنا بعام واحد دارت الحرب في جنوب السودان، وظلت مستمرة حتى انفصل الجنوب، وأصبح دولة مسيحية، وهناك عدة أسباب أدت إلى هذا الصراع وإلى حالة عدم الاستقرار، منها أن السودان كان متمرداً على الاستعمار، وكان به ممالك قديمة جداً تتمتع بالحكم الذاتي؛ مثل علوة وسوبا وسنار والفور، وغيرها، والدليل على ذلك مقتل جوردن باشا في الخرطوم، القائد الذي كان يعتز به الإنجليز في بريطانيا، وهو الذي أذاق الهنود الأمرين، هذا القائد قُتل في الخرطوم ولن ينساه البريطانيون والغربيون بسهولة.

كما أن أطماع الغرب في الموارد الطبيعية المتوفرة في السودان من البترول والغاز والحديد والذهب واليورانيوم، والأراضي الزراعية الخصبة الشاسعة، ووفرة المياه الجوفية ومياه الأنهار والأمطار والثروة الحيوانية، علاوة على موقع السودان الإستراتيجي الممتاز في قلب العالم الذي يربط بين العالم العربي والأفريقي ووسط أفريقيا والقرن الإفريقي بما له من أهمية من أسباب استهداف السودان.

كذلك من أسباب الصراع في السودان التعدد الإثني والقبلي الذي حاول الاستعمار أن يخلق فجوة بين مكونات النسيج الاجتماعي للبلاد، سواء كان في الجنوب أو الشمال باختلاق سياسة المناطق المقفولة لفترات طويلة، وجعل جنوب السودان يدين بالديانة المسيحية، وشمال السودان بالإسلام، وكل هذه المسائل أسباب للصراع المستمر، والحال التي وصلت ذروتها في هذه الفترة الأخيرة.

ما إمكانية التوصل إلى حل لوقف الاقتتال في البلاد؟

– بالطبع هناك إمكانية لوقف الاقتتال، ولا بد من إيقافه، حيث إن هناك مخططاً دولياً إقليمياً مشبوهاً ضد وحدة السودان ويسعى لتفتيته، ومتى ما يرى أصحاب هذا المشروع بأنه قد فشل ستتوقف هذه الحرب سواء كان بهزيمة التمرد أو باتفاقية سلام تنتهي باستسلام قوات التمرد، وهذا ممكن ومتاح، وليس هناك تعقيدات؛ لأنه

حتى الآن لم تنحُ هذه الحرب نحو الحرب الأهلية.

ما دور الإسلاميين فيما يحدث الآن في السودان؟

– لا شك أنه بعد الإطاحة بالحكومة الإسلامية عام ٢٠١٩م، نأى الإسلاميون بأنفسهم عن السلطة وعن المشاركة في النشاط السياسي؛ إلا أنهم الآن في هذه الظروف الأمنية التي فرضت عليهم المشاركة في هذه الحرب هم موجودون بقوة شأنهم شأن غيرهم من الطوائف السياسية الأخرى؛ لأن هذه الحرب صارت بين الشعب السوداني ككل بقواته المسلحة وأحزابه السياسية وقواه الوطنية من جهة، ومليشيا «الدعم السريع» وأصحاب مشروع تمزيق السودان من جهة أخرى.

ولذلك، الإسلاميون هم الآن جزء لا يتجزأ من حسم تلك المعركة الدائرة الآن في السودان، حيث إنهم الأكثر تنظيماً وشعبية، وهم بالتأكيد متوقع أن يكون لهم دور في أي انتخابات قادمة على برنامج واضح، ووجود بقوة في رسم مستقبل السودان السياسي.

كيف يمكن مواجهة المؤامرات الإقليمية على السودان؟

– يأتي هذا من خلال الاستقرار السياسي وتوحيد الجبهة الداخلية، وإعادة النظام السياسي المستقر؛ مما سيفشل هذه المؤامرات الدولية على السودان.

ما واقع الوضع الإنساني في السودان بعد أكثر من عام على الاقتتال الداخلي؟

– الوضع الإنساني في بعض المناطق التي تسيطر عليها مليشيا «الدعم السريع» معقد وسيئ للغاية، وهناك حالة نزوح ولجوء جماعي لبعض الدول المجاورة، ولكن هناك في غالب ولايات السودان الخالية من الحرب الحالة الإنسانية مستقرة فيما يخص المواد الغذائية والنواحي الصحية، وإن كانت سيئة، ولكنها متوفرة.

ومن المعلوم أن السودان دولة منتجة خاصة للمواد الغذائية؛ وبالتالي فكثير من ولايات السودان لم تتأثر بهذه الحرب، خاصة أن لديها وفرة من الإنتاج للمواد الغذائية؛ نظراً لعدم وجود تصدير بسبب الأحداث الحالية، فأصبحت أسعار هذه المنتجات رخيصة جداً ومتوفرة بكميات كبيرة تفوق طاقة الاستهلاك المحلي بسبب زيادة العرض.

ولكن تظل هناك حالة إنسانية وإهمال ولا مبالاة دولية وإقليمية لما يتعرض له الشعب السوداني فيما يخص المساعدات الإنسانية، وهذا موضوع طويل، ولا يوجد من يريد أن يوقف هذه الحرب المستمرة منذ ١٥ شهراً.

من الذي يقف خلف مليشيا «الدعم السريع»؟ وما الهدف من ذلك؟

– جهات كثيرة جداً تقف خلف «الدعم السريع»، منها من هو أصيل في هذا المشروع، ومن هو عبارة عن جسر لأعداء السودان، وفيما يبدو ظاهراً للعيان وقدمت به الحكومة السودانية شكوى إلى مجلس الأمن دولة خليجية وبعض دول الجوار، حيث إن الدعم اللوجستي يأتي عبر تلك الدولة، وهي معبر لمن يسعون لتمزيق وحدة السودان يمر من خلاله «إسرائيل» والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا.

وهذا مشروع قديم منذ ثمانينيات القرن الماضي لتقسيم وتفتيت السودان، وهذا الدعم سواء كان لوجستياً أو بجحافل المرتزقة أو بمختلف التقنيات، حتى إن هذه القوات المتمردة تتحرك بمعلومات عبر الأقمار الصناعية من بعض الدول التي ترعى هذا المشروع؛ فكل هذا الدعم مرصود.

السودان بحاجة إلى وفاق سياسي واستقرار مجتمعي ليعود سلة غذاء العالم الإسلامي

الإسلاميون جزء لا يتجزأ من حسم المعركة الدائرة الآن لصالح استقرار ووحدة البلاد

الوضع الإنساني سيئ للغاية في مناطق سيطرة مليشيا «الدعم السريع» منذ أكثر من عام

ما ملامح الحصاد المر لتطبيع السودان مع «إسرائيل»؟

– التطبيع مع «إسرائيل» لم يكتمل، وهناك بعض اللقاءات التي لم تأت بشيء، وليس هناك مستفيد من علاقته بـ«إسرائيل» إطلاقاً، وإن هذه اللقاءات التي تمت سواء مع عبدالفتاح البرهان، أو محمد حمدان دقلو (حميدتي)، وقادة مليشيا التمرد، يعلم اليهود أنهم لا يمثلون الشعب السوداني الذي يعد من أكثر شعوب الأرض معاداة لـ«إسرائيل» وكيانها.

كما أن جواز السفر السوداني هو الوحيد في العالم الذي يكتب داخله عبارة «يسمح به لكل الدول ما عدا إسرائيل»، وكذلك العالم الإسلامي يتذكر للشعب السوداني قمة «اللاءات الثلاث» المشهورة في الخرطوم عام ١٩٦٧م (لا اعتراف، لا تفاوض، لا تطبيع)؛ لذلك الصهاينة يعلمون أن هذه اللقاءات التي تمت يستحيل أن يحدث بها تطبيع من الشعب السوداني لا سيما في ظل حكومة مستقرة.

والأصابع «الإسرائيلية» ظاهره بقوة في هذه الحرب بالتسليح وأجهزة الاتصالات والتقنية الحديثة فيما يخص معلومات الأقمار الصناعية وتوجيه قوات التمرد ودعمها بالأسلحة.■

الأسرة السودانية على خط النار!

يبلغ تعداد سكان السودان ٤٦ مليون نسمة؛ ٦١,٥% منهم دون الخامسة والعشرين، فهو من المجتمعات الفتية، وهذه الخاصية لها دلالات اقتصادية واجتماعية مهمة، ويتسم المجتمع السوداني بالتماسك والترابط والتراحم بين أفراده انطلاقاً من الأسرة نواة هذا المجتمع.

د. إنتصار أبو ناجمة
رئيسة لجنة التعليم بالبرلمان السوداني سابقاً

ظل السودان مستهدفاً عبر التاريخ لما له من ميزات وموارد عز نظيرها، لكنها ساقت عليه الفتن والحروب، ولم يكد شعبه ينعم بها، وما فتئت الأسر السودانية في مختلف ولايات السودان تتأثر بالنزاعات والاضطرابات الأمنية بدرجات متفاوتة تتراوح بين التعرض المباشر للأذى البدني والقتل واليتم والترمل، أو غير المباشر بنقص الموارد الموجهة من قبل الدولة للصحة والتعليم والخدمات الأساسية والبنية التحتية؛ مما ينعكس على جودة الحياة ورفاه المواطن.

غير أن الحرب هذه المرة تجري داخل العاصمة الخرطوم بمدنها الثلاث، وبعض المدن الأخرى، فيما جرت الحروب التي شهدها السودان في السابق في الأطراف والمناطق الريفية سواء في الجنوب أو دارفور أو شرق السودان، ونظراً لأن العاصمة بمدنها الثلاث مركز السلطة والحكم، فإن اندلاع الحرب داخل العاصمة المأهولة بالسكان يفضي إلى نتائج كارثية من حيث أعداد القتلى والجرحى، وحجم التدمير في البنى والهياكل التحتية والممتلكات العامة والخاصة.

كما أن الأثر المدمر لهذه الحرب سببه طبيعتها الاستئصالية التي استهدفت تجريف المكونات السكانية وتغييرها كلياً إلى مجموعات وافدة تُستجلب من دول الجوار الأفريقي في عملية إحلال ديمغرافي غير مسبوق؛ ولتحقيق هذا الهدف عملت مليشيا «الدعم السريع» المتمردة في تشتيت الأسر بالعنف الفظيع والممنهج الذي أسفر عن النتائج التالية.

أولاً: الآثار الاجتماعية:

بدأ أول شرخ في النسيج الاجتماعي السوداني المتماسك بالتهجير من العاصمة الخرطوم؛ حيث نزح المواطنون باتجاه الولايات الآمنة، وقد عانى سكانها الأمرين وهم يخرجون إلى ولايات غير مهيئة لاستقبال هذه الأعداد من الوافدين عليها، واجتاحت المليشيا منازل المواطنين واستباحتها ونهبت كل ما غلا ثمنه وخف حمله.

وحملت قصص الفارين من الحرب ما يشبه الأساطير من البطش في وجه شعب عرف بالسلام والتراحم والتكافل، فقد دخل المتمردون على أسرة لم تنزح من منزلها مستنكرين بقاءهم في أحد الأحياء التي تم اجتياحها، فوجدوا أن سبب بقائهم جدهم المسن المريض الذي لا سبيل للنزوح به، فما كان منهم إلا أن أطلقوا رصاصهم عليه وخاطبوا بقية أفراد الأسرة بأن يغادروا فوراً قائلين لهم: أرحناكم منه!

وأثناء رحلة التهجير القسري كانت المليشيا تخطف الفتيات صغيرات السن والنساء عموماً تغتصب البعض وتسترق البعض الآخر؛ حيث يُجبرن على خدمتهم من طبخ وغسل ملابس وتنظيف مساكن، وأخذ البعض منهن سبايا (بعض هؤلاء السبايا طبيبات كن في الخدمة بالمستشفيات حين اقتحمتها المليشيا) وتم بيعهن في حواضن المليشيا في ولايات معلومة وفي بعض دول الجوار.

خرج الفارون من جحيم القتل والأسْر وهتك العرض والتعذيب والتنكيل إلى المجهول، فالمليشيا تصادر كل شيء، وتخرج الأسر سيراً على الأقدام أياماً فيموت خلال هذه الرحلة الشاقة الضعفاء من المسنين والأطفال والمرضى، ويواصل من بقي على قيد الحياة مسيرهم إلى المجهول، ويظل السؤال: إلى أين؟

الوجهة الجديدة لا تخلو أن تكون مدينة صغيرة محدودة الخدمات، أو قرية أصغر لا تكاد مواردها تكفي متطلبات أهلها، يصل الناجون إلى هذه الوجهات خائفين، منهكين، جائعين، معدمين، تستقبلهم بعض البيوت والأسر أو المدارس والمرافق العامة ليعيشوا المعاناة في أقسى صورها.

أما من اختار اللجوء وعبور الحدود إلى دول الجوار فيعاني ذات المرارات السابقة مضافاً إليها طول المسير والقلق مما يواجهه في الحدود وإذلال اللجوء وقد فقدت الأسر وثائقها الثبوتية فأصبحت حرفياً بلا هوية؛ فالأطفال أصبحوا يتامى، والنساء ترملن، والأمهات ثكالى، مع فقد البيوت والمدخرات والوظائف، وتمر معظم الأسر الآن بظروف قاسية من حيث مكان الإقامة والحالة الاقتصادية والصحية.

ثانياً: الآثار الاقتصادية:

ظل السودان عقوداً متتالية يعاني من الحصار والعقوبات الاقتصادية والاستنزاف عبر الحروب والنزاعات، ولكن هذه الحرب استهدفت ممتلكات المواطنين؛ فأفقرت الأسر تماماً مثلما أفقرت الدولة باستهداف كل مقدراتها.

ولعل أكبر استثمار عرف عن الأسر السودانية هو الاستثمار في تعليم أبنائها؛ حيث توجه الأسر جل مواردها لهذا البند، وقد تحقق فيه إنجاز مشهود عبر العقود الثلاثة الأخيرة بطفرات قياسية في مؤسسات التعليم العالي وأعداد الخريجين، فكان أن استهدفت هذه الحرب المدارس والجامعات والمراكز البحثية وعطلت الدراسة، وفقد الطلاب عامين دراسيين ولا يزال الأفق معتماً.

ثالثاً: الآثار النفسية:

يترك التهجير وفقدان المنزل وأفراد الأسرة والانفصال عن الوالدين آثاراً طويلة الأمد على نمو الأطفال، تستمر حتى سن البلوغ؛ وتتعرض صحتهم لخطر كبير في الحروب؛ فبعضهم يُقتل أو يُعذب بوحشية، بينما يعاني آخرون من إصابات خطيرة، ويفقد العديد من الأطفال والديهم وأشقاءهم وأصدقاءهم، وغالباً ما يُترك الأيتام للعيش في الشوارع، فينتج الآتي:

– القلق والوحدة وانعدام الأمن: كثير من الأطفال الذين يعيشون في مناطق النزاع فقدوا منازلهم، وتم تهجيرهم من أحيائهم؛ ما يؤدي إلى الاضطراب والاكتئاب والقلق لدى الأطفال المتأثرين بالحرب.

– الانسحاب العاطفي؛ قد يصبح الأطفال الذين يتعرضون لمصادر متعددة من العنف مع مرور الوقت غير مبالين ومخدرين عاطفياً؛ مما يزيد من احتمالية تقليدهم للسلوك العدواني الذي يشاهدونه واعتبارهم هذا العنف أمراً عادياً.

– الأعراض النفسية الجسدية؛ حيث إن مستويات التوتر العالية لديهم تظهر في أعراض جسدية مثل آلام في الرأس والصدر، وصعوبة في التنفس، وفي بعض الحالات فقدان مؤقت للحركة في أطرافهم.

– اللجوء إلى إيذاء النفس؛ ففي بعض الحالات لا يرى الأطفال أي خيار آخر سوى محاولة الهروب مما يمرون به ومن محيطهم باستخـــــدام المخدرات أو حتى إيذاء النفس والانتحار.■

اندلاع الحرب داخل العاصمة المأهولة بالسكان أفضى إلى نتائج كارثية من حيث أعداد القتلى والجرحى

أول شرخ في النسيج الاجتماعي السوداني المتماسك بدأ بالتهجير من العاصمة الخرطوم إلى الولايات الآمنة

أثناء رحلة التهجير كانت مليشيا «الدعم السريع» تخطف الفتيات فتغتصب البعض وتسترق البعض الآخر

من أشد أنواع الكوارث التي يتعرض لها الإنسان الحروب والنزاعات بسبب إفرازاتها السلبية؛ اجتماعياً واقتصادياً وبيئياً، وما ينجم عنها من الدمار النفسي والاجتماعي الذي يصعب رتقه على كل المستويات وعلى مدى السنوات.

وتعتبر شريحة المرأة على نحو أخص من أكثر الشرائح المتأثرة بويلات الحرب؛ كونها صمام أمان الأسرة والمجتمع، واللبنة التي يقوم عليها بناء المجتمع المعافى، وفي الوقت ذاته المعول الذي يهدم هذه اللبنة إذا تعرض لأي نوع من أنواع الاستغلال السلبي؛ لذلك يأتي استهدافها بشكل مباشر في الحروب سعياً للتنكيل بالعدو وهزيمته معنوياً.

المـرأة السودانيـــة.. بيـن مطرقـة الحـرب وسندان النزوح واللجوء

د. إحسان مهدي أحمد
دكتوراة العلـوم السياسية جامعـة الخرطوم

تعرضت المرأة السودانية في الحرب الأخيرة منذ أبريل ٢٠٢٣م لأشد أنواع الانتهاكات؛ نتيجة لأنواع العنف الذي تعرضت له النساء والفتيات النازحات واللاجئات في المدن والولايات المتأثرة بشكل ممنهج وبأنماط متعددة، بسبب البحث عن الملاذات الآمنة والمأوى المناسب، في الوقت الذي جاء فيه التجاوب الإقليمـــي والدولـــي محـــدوداً مقارنة بحجم الانتهاكات الجسيمة في حق المرأة السودانية التي شهد لها الجميع بوقوفها تاريخياً إلى جانب القضايا الاجتماعية والسياسية إقليمياً ودولياً؛ فكراً وممارسة.

ونجد أن الحرب التي اندلعت في الخرطوم على نحو مباغت لم تسمح لأغلب السكان بمحاولة التفكير أو التخطيط لما تكون عليه حالهم أثناء أو ما بعد الحرب، وقد كان الهجوم شاملاً لأنحاء عديدة من العاصمة، وزامن ذلك هجوماً لعدد من المناطق في ولايات دارفور وولاية كردفان؛ الأمر الذي فاقم من عامل الصدمة والارتباك لكل شرائح المجتمع خاصة النساء والأطفال.

واجهت المرأة السودانية أشد أنواع الانتهاكات من خلال حوادث الاعتداء والنهب الجسدي والممتلكات التي زامنت الهجوم، هذا غير الترويع والتعرض للضرب والقتل، ويمكن القول: إن أغلب المنازل التي تم الهجوم عليها من جانب «قوات الدعم السريع» تعرضت لجميع أنواع الانتهاكات المذكورة، خاصة تلك التي تم اقتحامها من قبل المقاتلين صغار السن، ودلت على ذلك بعض الفيديوهات والتسجيلات من قبل بعضهم.

وقامت العديد من الجهات القانونية والمدنية الناشطة في حقوق الإنسان والمرأة على وجه الخصوص برصد حالات الانتهاكات الجسيمة في حق المرأة منذ بداية الحرب وحتى اليوم، وكان آخرها الاجتياح الذي تم لمدينة سنجة بولاية سنار التي أجبر فيها الآلاف من السكان للفرار من منازلهم، مضطرين إلى النزوح القسري خارج المدينة مشياً على الأقدام في ظروف بيئية بالغة التعقيد؛ حيث تتعرض المنطقة بفعل فصل الخريف إلى أمطار غزيرة يصعب معها التحرك، خاصة لشرائح الأطفال وكبار السن والحوامل، بعد أن تم تجريدهم من أموالهم وممتلكاتهم؛ الأمر الذي أدى إلى فقدان المئات منهم الاتصال بذويهم في الولايات الأخرى في رحلة البحث عن ملاذات آمنة.

انتهاكات بشعة

قامت العديد من المنظمات العاملة في مجال المرأة برصد قوائم وتوثيق أغلب الانتهاكات التي تعرضت لها المرأة السودانية بشكل خاص، منذ بداية الحرب قبل أكثر من عام، مؤكدة العنف الذي تعرضت له، وقد عددت مجموعات حقوقية مختلفة الانتهاكات التي طالت النساء في السودان، ما بين حالات الانتهاك الجسدي ونقص الحقوق التعليمية والصحية، مع تدهور الأوضاع الأمنية والمعيشية والبيئية كما ذكرت الناشطة الحقوقية دعاء مأمون.

وتعاني النساء والفتيات نقصاً حاداً في الغذاء بسبب الحرب، هذا بخلاف الخوف من المجهول خلال أزمة النزوح الداخلي، وارتفاع أجور السكن، ونقص المعسكرات؛ إذ بلغ عدد النازحين في الداخل ما يقارب ٨ ملايين نازح، فيما لجأ أكثر من مليوني شخص إلى الدول المجاورة ودول الخليج، هذا غير الأعداد العالقة ما بين دولة جنوب السودان ومصر وأوغندا وليبيا وتشاد، وما يتبع ذلك من حالات التحرش والإذلال بكل أنواعه.

وتذكر المجموعة السودانية لضحايا الاختفاء القسري أنه تم تسجيل أعداد كبيرة من حالات الاختفاء القسري بين النساء المرجح تعرضهن للاغتصاب والاستعباد الجنسي، أو تم تسخيرهن للأعمال المنزلية، وأكدت ذلك مجموعة من المحتجزات اللائي تمكنَّ من الفرار من المنازل التي استغلتها القوات للسكن أو التمركز في المدن كالخرطوم وبحري، أو المناطق والمؤسسات الإستراتيجية التي اتخذتها القوات الغازية كثكنات مؤقتة لاستئناف العمليات العسكرية ضد الجيش والمدنيين بغرض طردهم من مناطقهم والسكن فيها عنوة تحقيقاً لآمال التوطين والاستقرار.

ونسبت مفوضية حقوق الإنسان الأممية ٧٠٪ من حوادث العنف الجنسي المؤكدة لمقاتلين يرتدون زي «قوات الدعم السريع»، حيث لم يراع فيها أي نوع من الإنسانية غير مبالية بالأطفال أو النساء وكبار السن.

العنف الجنسي

وذكر مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك أن العنف الجنسي بوصفه سلاحاً من أسلحة الحرب، بما في ذلك الاغتصاب، ظل يشكل سمة مميزة وحقيرة، كما وصفها، وأضاف أن مكتبه وثّق ٦٠ حادثة عنف جنسي مرتبطة بالنزاع، شملت ما لا يقل عن ١٢٠ ضحية في جميع أنحاء البلاد، غالبيتهم العظمى من النساء والفتيات، مبدياً أسفه على أن هذه الأرقام لا تعكس واقع الحال، ولعل ذلك يعود إلى صعوبة الوصول إلى الأعداد الحقيقية لضحايا العنف مع استمرار الحرب.

وفي إقليم دارفور والخرطوم وكردفان والجزيرة، وهي أكثر المناطق المتأثرة، يهدد نقص الغذاء أكثر من ٧ آلاف أُمّ حديثة الولادة في مقبل الأيام، إذا لم تقدم لهن المساعدات العاجلة، بحسب رصد صندوق الأمم المتحدة للسكان.

والجدير بالذكر أنه مع استمرار المعاناة الناجمة عن هذه الحرب، يستجيب صندوق الأمم المتحدة للسكان مع الشركاء لإيصال خدمات الصحة الإنجابية للنساء والفتيات وخدمات الحماية والاستجابة للعنف القائم على النوع الاجتماعي مع اقتراب الحرب في السودان من عامها الثاني.

ويضيف محمد الأمين، ممثل صندوق الأمم المتحدة للسكان، أنه من الصعب وجود إحصاءات دقيقة حول مدى انتشار العنف القائم على النوع الاجتماعي في أماكن متعددة في السودان، خاصة في تلك المدن التي تعرضت لمعارك داخلية.

وفي الوقت الذي تسعى فيه «قوات الدعم السريع» إلى السيطرة على المدن والولايات السودانية، نجد أن انتهاكاتها العنيفة تتعارض مع العادات والأعراف العربية والشريعة التي حث عليها ديننا الحنيف، الذي شدد على تحريم استهداف النساء والصبيان والشيوخ والضعفاء وأصحاب الصوامع والأجير.

وبينما تحرم الشريعة الإسلامية ظاهرة السبايا واختطاف المدنيين، نجد أن العديد من الفتيات تعرضن إلى السبي والخطف من العاصمة الخرطوم وترحيلهن إلى أماكن أخرى، ووثقت لذلك شبكة المبادرة الإستراتيجية لنساء القرن الأفريقي (صيحة)، مؤكدة إحصاء ١٠٤ حالات اختطاف واختفاء قسري لنساء وفتيات صغيرات السن منذ بداية الحرب.

وتؤكد مبادئ القانون الدولي الإنساني تحريم وتجريم اختطاف المدنيين ووجوب حمايتهم، وهو ما يتفق في ذلك مع مبادئ الشريعة الإسلامية والسُّنة النبوية.■

المرأة السودانية واجهت أشد أنواع الانتهاكات من خلال حوادث الاعتداء والنهب الجسدي والممتلكات

النساء يعانين نقصاً حاداً في الغذاء بسبب الحرب بخلاف الخوف من المجهول خلال أزمة النزوح

نقص الغذاء يهدد أكثر من ٧ آلاف أُمّ حديثة الولادة في مقبل الأيام إذا لم تقدم لهن المساعدات العاجلة

المدارس المنزلية.. طوق نجاة التعليم في السودان

يعاني قطاع التعليم في السودان من خطر ضياع جيل كامل من الطلاب وتحويلهم إلى قطاع المتسربين، الذين يطاردهم شبح الأمية بفعل تدمير القطاع الأكبر بمدارسهم، أو استيلاء قوات التمرد عليها وتحويلها إلى ثكنات عسكرية، إضافة إلى هروب المعلمين من جحيم الحرب، وسعياً وراء الرزق لإعاشة ذويهم، وقتل عدد كبير منهم بأيدي قوات التمرد، حيث يواجه هذا القطاع أزمة لم تشهدها البلاد من قبل منذ إعلان الفريق أول محمد حمدان دقلو «حميدتي»، التمرد على الجيش في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م.

وقد أدت الحرب إلى تعطيل العملية التعليمية بشكل كامل في العديد من المناطق، وتسببت في نزوح الملايين من الأطفال، وتحولت العديد من المدارس إلى ملاجئ للنازحين.

منظمة «يونيسف»: السودان على وشك أن يصبح موطناً لأسوأ أزمة تعليمية في العالم

خالـد محمـد علـي

أكدت لجنة المعلمين السودانيين أن أغلب مؤسسات التعليم العام في المناطق المتأثرة بالنزاع غير جاهزة لاستقبال الطلاب بسبب تدميرها جراء القصف أو استخدامها منصة للحرب أو ثكنات عسكرية.

وحذرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) من أن انهيار النظام التعليمي في السودان يشكل كارثة لجيل بأكمله؛ فقد أدى تصاعد العنف وانعدام الأمن في العديد من المناطق إلى إغلاق أكثر من ١٠ آلاف مدرسة، وتُقدر المنظمة عدد الأطفال الذين ظلوا بلا مدارس خلال الحرب في السودان بـ١٨ مليون طفل، ومع دخول القتال العام الثاني يتوقع أن تصل الإحصائية من ١٩ إلى ٢١ مليون طفل نتيجة وصول بعض الأعمار إلى سن الدراسة.

وأوضحت ممثلة «يونيسف» في السودان، ماندیب أوبراين، أن السودان على وشك أن يصبح موطناً لأسوأ أزمة تعليمية في العالم، وأضافت أن الأطفال تعرضوا لأهوال الحرب، والآن بعد أن أجبروا على ترك فصولهم الدراسية ومعلميهم وأصدقائهم، فإنهم معرضون لخطر الوقوع في فراغ سيهدد مستقبل جيل كامل.

ومن جهته، أوضح الأمين العام للمجلس القومي للطفولة عبدالقادر عبدالله، أن الصراع المسلح أجبر ٣ ملايين طفل في سن الدراسة على النزوح من إقليم دارفور، بينما نزح ٢,٥ مليون طفل آخرين من ولاية الخرطوم، و١,٢ مليون طفل من إقليم كردفان، وقد أدى هذا النزوح الجماعي إلى تفاقم الأزمة التعليمية، حيث فقد العديد من الأطفال فرصة مواصلة تعليمهم.

وتسبب توقف المدارس في ظهور مشكلات جديدة في المجتمع السوداني؛ حيث ارتفعت نسبة زواج الفتيات المتسربات من المراحل الثانوية والإعدادية، خاصة بعد تراكم دفعتين من الشهادة الثانوية بعد استحالة إجراء الامتحانات العام الماضي؛ وهو ما أدى بدوره أيضاً إلى اتجاه الطلاب من الذكور إلى سوق العمل بحثاً عن أموال تكفي حاجتهم وحاجة أسرهم، وكل هذا يضاف إلى مشكلات قديمة ومزمنة من نقص الكتب المدرسية وعدم كفاية المدارس وهجرة المعلمين للخارج.

الفقر يطارد التعليم

تُواجه منظومة التعليم في السودان تحديات هائلة تتجاوز آثار الصراع المسلح، حيث يُلقي الفقر بظلاله القاتمة على فرص حصول الأطفال على التعليم، حيث تُشير المعلمة إيمان مرتضى، صاحبة خبرة ٢٥ عاماً في مجال التعليم، إلى أن الأسباب

السودانيون أقاموا مدارس ومعاهد بديلة في البيوت والمساجد كتجارب آمنة لتعليم الطلاب

الجوهرية لتعطل المدارس في السودان تتجاوز النزوح والحرب لتشمل الفقر المدقع الذي يُعاني منه الكثير من الأسر، فمع تفاقم الأوضاع الاقتصادية، باتت فكرة إرسال طفل إلى المدرسة تُعدّ رفاهية لا يستطيع الكثير من الأهالي توفيرها.

ويُؤكد الباحثون أن الجوع الناجم عن الصراع المسلح يُقلل من رغبة المجتمعات في دفع أطفالها إلى المدارس، ويدفعهم بدلاً من ذلك إلى إرسالهم إلى سوق العمل لتوفير لقمة العيش. فالأطفال الذين يعانون من الجوع لا يستطيعون التركيز في الدراسة، ولا يملكون الطاقة اللازمة للتعلم، ويزداد الوضع سوءاً في ظل انعدام الشعور بالأمان بسبب النزوح واللجوء؛ ما يجعل التعليم مسألة ثانوية بالنسبة للكثير من الأسر.

وكشفت القوات المسلحة السودانية عن وجود أعداد كبيرة جداً من الأطفال الذين قامت قوات «الدعم السريع» بتجنيدهم كمقاتلين مقابل المال والوعود بالحصول على غنائم الحرب، وعرض الجيش في مناسبات عدة المئات من هؤلاء الأطفال الذين معظمهم في سن الدراسة الثانوية والجامعية.

وحذرت المنظمات الدولية من عمليات تجنيد الأطفال التي نسبت إلى «الدعم السريع» خاصة مع ظهور عدد منهم وقد ربطوا بجنازير في سيارات الدفع الرباعي حتى لا يفروا من القتال، ويرى خبراء التعليم أن تجنيد الأطفال من أسوأ العوامل التي تهدد العملية التعليمية في البلاد؛ لأنه يمنح الصبية مزيداً من الأموال والبطولات الوهمية التي يتطلعون إليها في سن المراهقة.

تحدي الأزمة

عمل السودانيون على نشر مدارس بديلة في البيوت والمساجد كتجارب آمنة لتعليم الطلاب، وقد لاقت هذه التجربة نجاحاً معقولاً في الولايات الآمنة؛ حيث تطوع عدد كبير من المعاشيين في إدارة هذه المدارس والقيام بدور المعلمين الذين تفتقد الولايات إلى عدد كبير منهم بسبب هروبهم لدول الجوار أو قتلهم على أيدي «الدعم السريع»، أو حتى انخراط عدد منهم في العمليات القتالية.

وتبنت قيادات شعبية تابعة لحركة العدل والمساواة، وحركة جيش تحرير السودان، إقامة مدارس ومعاهد لتعليم الطلاب في بيوتهم، حيث يتم تدريس المنهج السوداني مضافاً إليه تحفيظ أجزاء من القرآن الكريم، وبعض المعلومات العامة الخاصة بكيفية تجنب مناطق النزاع والحفاظ على السلامة الشخصية.

واكتسبت هذه المدارس المنزلية شهرة واسعة في مدينة الفاشر عاصمة شمال دارفور التي نزح إليها جزء كبير من القبائل الأفريقية التي كانت تعيش في ولايات دارفور الأربع الأخرى التي يسيطر عليها «الدعم السريع» الآن، ومن أشهر نماذج مدارس البيوت الناجحة مدارس «مشاعل»

قيادات «العدل والمساواة» و«جيش تحرير السودان» أقامت مدارس لتعليم الطلاب في بيوتهم

«يونيسف» أنشأت ألف مساحة تعليمية آمنة وألحقت ٩٤١ ألف طفل بالعملية التعليمية

التي تلقى قبولاً متزايداً من الطلاب.

ومن المبادرات الشعبية التي تحدى بها الناس أزمة التعليم مبادرة «الشعب المعلم» التي تنتشر فروع لها في مدينة الدمازين عاصمة إقليم النيل الأزرق، حيث نجحت المبادرة في إقامة ٣ مراكز بالمدينة تضم أكثر من ٤٠٠ طالب في سن التعليم الأساسي، وتركز المبادرة بشكل أساسي على استقبال الطلاب النازحين من الولايات الأخرى.

وأفادت منظمة «يونيسف» أنها نجحت في إنشاء ألف مساحة تعليمية آمنة، وألحقت ٩٤١ ألف طفل بالعملية التعليمة، وفي محاولة جادة للوصول إلى الأطفال في مناطق النزاع، وفرت المنظمة منصة رقمية مصممة لتلبية احتياجات الأطفال المتأثرين بالنزاع، وهي مجانية ويمكن الوصول عبرها إلى المناهج السودانية، ولتلافي أزمة انقطاع الاتصالات، وفرت المنظمة برامج تعليمية متكاملة يتم تحديثها كل شهرين دون الحاجة إلى الإنترنت.

وفي كل الأحوال، فإن آثار الحرب المدمرة على العملية التعليمية في السودان التي تطارد الطلاب في الداخل والخارج لا يمكن أن تتوقف آثارها إلا إنهاء النزاع وتوقف الحرب، والبدء في عملية موسعة لإعادة إعمار المنظومة التعليمية من مدارس وكتب ومعلمين.■

اندلعت الحرب التي شنتها مليشيا «الدعم السريع» المتمردة ضد الدولة السودانية، في أبريل ٢٠٢٣م، وسط أجواء صراع حول السلطة، حيث تعود جذور الصراع عقب التغيير الذي حدث عام ٢٠١٩م بعد الثورة التي أطاحت بالنظام السابق لحكم عمر البشير، وترجع أسباب الحرب إلى الخلاف حول كيفية دمج «قوات الدعم السريع» داخل مؤسسة الجيش السوداني؛ ما أدى إلى تصاعد التوترات بشكل أكبر، وبدأ القتال في العاصمة الخرطوم، لكنه سرعان ما امتد إلى مناطق أخرى في السودان، بما في ذلك إقليم دارفور وأجزاء من كردفان وولاية الجزيرة ومؤخراً ولاية سنار.

الأزمة السودانية من منظور القانون الدولي

د. فيصل عبد الله خير
دكتـــوراة فـــي القانـــون الدولـــي

تسببت الحرب الدائرة بين الجيش السوداني و«قوات الدعم السريع» المتمردة في معاناة جماعية للمدنيين ودمار واسع النطاق، حيث بلغ عدد الضحايا في آخر تقرير للأمم المتحدة، في ٢١/ ١٢/ ٢٠٢٣م، أكثر من ١٥ ألف قتيل، ومليوني لاجئ، وأكثر من ١٠ ملايين نازح داخلياً، كأكبر عملية نزوح داخلي في العالم؛ وبالتالي أصبح السودان بهذه الأرقام أكبر دولة مصدرة للاجئين في العالم.

وحذر برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة من أن الاستجابة الإنسانية الدولية للسودان لا تزال تعاني من نقص التمويل بشكل حاد، رغم تحذير المنظمات الإنسانية من المجاعة، حيث لم يتم تلبية التماس الأمم المتحدة إلا بنسبة ٥% فقط؛ ما جعل احتياج أكثر من ١٤ مليون طفل (نصف أطفال السودان) إلى المساعدة الإنسانية.

ووثقت منظمة العفو الدولية ومنظمات أخرى أدلة على وقوع جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية قامت بها مليشيا «الدعم السريع» المتمردة، وذلك بارتكاب القتل غير المشروع للمدنيين، والتدمير للمتاحف والمستشفيات والبنى التحتية المدنية والمنشآت البحثية، والنهب الممنهج لممتلكات المدنيين ومقدرات الدولة.

وقد أفرزت الأزمة السودانية العديد من مظاهر انتهاك القانون الدولي الإنساني، من قتل المدنيين بصورة عشوائية، وأحياناً بناء على الهوية، أو حجزهم ومنع تنقلهم إلى المناطق الآمنة، وكمثال لممارسة القتل الوحشي بناء على الهوية والعرق ما شهدته مدينة الجنينة من أحداث وحشية وعنف مفرط في حق المدنيين العزل؛ حيث قُتل المئات وجُرح الآلاف، وتم تدمير المستشفيات والبنى التحتية، وفر الآلاف إلى دولة تشاد المجاورة، وطبقاً للتقارير الدولية،

منظمات دولية وثقت أدلة على وقوع جرائم حرب وضد الإنسانيـــة قامـــت بهـا «الدعم السريع»

فإن الانتهاكات التي حدثت في مدينة الجنينة لم تحصل في أي مكان بالعالم.

جرائم حرب

ووثقت منظمة العفو الدولية ومنظمات أخرى أدلة على وقوع جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وغيرها من الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني في مدينة الجنينة وما حولها من قرى وحواضر تابعة لحاضرة الولاية، وتمت تلك الممارسات كلها من جماعات تابعة لـ«قوات الدعم السريع».

ومن مظاهر انتهاكات القانون الدولي الإنساني استخدام العنف الجنسي كسلاح للحرب تمارسه مليشيا «الدعم السريع» المتمردة، ولم يثبت إطلاقاً عن الجيش السوداني مثل هذه الممارسات، وفي تقرير قديم للمبعوث الأممي فولكر تورك قبل استقالته ومغادرته السودان، ذكر أنه ومنذ بدء النزاع في أبريل ٢٠٢٣م وثق مكتبه أكثر من ٦٠ حادثة عنف جنسي مرتبطة بالنزاع، شملت ما لا يقل عن ١٢٠ ضحية في جميع أنحاء البلاد غالبيتهم من النساء والفتيات، وذكر أنه من المؤسف أن هذه الأرقام لا تعكس إلى حد كبير الواقع، وذكرت التقارير الأممية أن رجالاً يرتدون زي «الدعم السريع» ومسلحين ينتمون إليها مسؤولون عن هذه الحوادث الموثقة.

ومن اللافت للانتباه في هذا الصراع إشراك الأطفال في النزاع المسلح من قبل مليشيا «الدعم السريع»، وهذه المسألة تعد انتهاكاً صارخاً للبروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن إشراك الأطفال في النزاع المسلح والسودان ملزم به، وفي حديث للمبعوث الأممي السابق تورك عن صدمته إزاء تزايد الدعوات بتسليح الأطفال، وذكر أن مكتبه تلقى مؤخراً تقارير تجنيد قوات «الدعم السريع» مئات الأطفال كمقاتلين في دارفور، وأعرب أن هذه الممارسات تشكل انتهاكاً صارخاً للبرتوكـــول الاختيـــاري لاتفاقية حقوق الطفل.

إشراك الأطفال في النزاع من قبل «الدعم السريع» انتهاك صارخ لاتفاقية حقوق الطفل

ومن أوجه مخالفات وخرق القانون الدولي الإنساني في هذه الحرب ظهور المرتزقة والداعمين لهم من دول الجوار ومن خارج القارة مساندة لمليشيا «الدعم السريع» المتمردة؛ حيث تم توثيق المئات وهم يقاتلون إلى جانب «الدعم السريع» ومعظمهم من دول الجوار، ويعملون لقاء المغانم التي يتم الحصول عليها من ممتلكات المواطنين الذين يفرون من مساكنهم بسبب نيران الحرب، وأحياناً يتم الحصول عليها من مؤسسات الدولة كالبنوك ونحوها؛ إذ ليس بالإمكان توفير مرتبات ثابتة لهم أو استحقاقات ما بعد الخدمة أسوة بالقوات النظامية.

وفي الشهر الأول من اندلاع الحرب، نشر الجيش السوداني عبر منصات إعلامية تابعة له فيديو يظهر فيه من قالت: إنه «قائد حركة» تابع لإحدى دول جوار السودان، ظهر ذلك القائد وهو يقاتل إلى جانب «قوات الدعم السريع» في الخرطوم، وما يعضد تورط المرتزقة من دول الجوار للسودان في النزاع الدائر هو ما صرح به رئيس بعثة «يونتاميس» السابق فولكر بيرتس بأن عدد المرتزقة الذين جاؤوا من ٣ دول مجاورة للسودان بدعم من «الدعم السريع» لا يستهان به، وأفاد شهود عيان في الخرطوم بسماعهم مقاتلين من «الدعم السريع» يتحدثون الفرنسية؛ ما يشير إلى أنهم أجانب.

إهمال دولي

وفي السياق، وجدت أحداث الحرب الدائرة في السودان اهتماماً بالغاً من قبل المستويين الإقليمي والدولي، ولكن لم يحظ بأي مؤشرات لإيقافها؛ بسبب عدم ممارسة الضغط الكافي لذلك، وأصبح المجتمع الدولي مشغولاً بقضايا أخرى مثل حرب روسيا وأوكرانيا، حيث ذكرت المنظمات الإنسانية أنها لم تحصل سوى على ١٥% من الأموال اللازمة لعملياتها، وإذا ما تم الالتزام بتعهدات جنيف فستحصل هذه المنظمات على نصف ما تطلبه.

المجتمع الدولي أدار ظهره لأزمة السودان ولم يمارس ضغوطاً كافية لوقف الانتهاكات الجسيمة

وفي تقرير له، ذكر ألكسندر كيروم عن مجلس اللاجئين الدنماركي، أن مستوى التمويل في السودان مخزٍ، ويضيف أنه في أوكرانيا بعد شهرين من الحرب كانت النسبة ٦٨٪ من الأموال اللازمة لمواجهة الأزمة متوفرة، وتناسي أزمة السودان والتباطؤ في حلها يطرح تساؤلات؛ من مثل: هل أدار المجتمع الدولي ظهره إلى حرب السودان؟

وللإجابة نجد أن المجتمع السوداني ما زال يتجرع ويلات الحرب التي استمرت لعامها الثاني، وتمثلت المعاناة في القتل العشوائي والجوع والنزوح واللجوء وفقد الممتلكات، حيث تعد حرب السودان من أعنف وأشرس الحروب التي شهدتها القارة الأفريقية، والمجتمع الدولي عبر آلياته يملك مفاتيح إيقافها، إلا أن التجاهل أضحى سيد الموقف.

من جانبه، أكد تيبغري شاغوتا، مدير المكتب الإقليمي لشرق وجنوب أفريقيا بمنظمة العفو الدولية، تعرض الشعب السوداني للإهمال والتجاهل على مدار عام كامل، حيث تحمل وطأة الاشتباكات العنيفة بين طرفي الصراع.

وقد أخفقت الجهود الدبلوماسية حتى الآن في وضع حد للانتهاكات أو توفير الحماية أو محاسبة مرتكبي جرائم الحرب؛ وبالتالي يمكن القول: إن المجتمع الدولي أدار ظهره لأزمة السودان؛ لأنه لم يمارس ضغوطاً كافية لوقف الانتهاكات الجسيمة التي لحقت بالمدنيين.

إن الحرب في السودان يمكن أن تفتح جبهة جديدة ضد أوروبا والغرب لصالح روسيا، وذلك بتدفق موجات الهجرة من جديد، وهذا يمثل مصدر قلق للاتحاد الأوروبي؛ لذا ينبغي حل أزمة السودان بكل الوسائل الممكنة من خلال الدعوة لمشاركة دبلوماسية مكثفة وعاجلة على أعلى المستويات، سواء بشكل مباشر أو مع الدول المجاورة التي لها نفوذ، وكذلك اتخاذ الخطوات الضرورية لوقف فوري لإطلاق النار، وضرورة حل كل الخلافات التي أدت إلى نشوب الحرب.■

السودان.. من «سلة غذاء العالم الإسلامي» إلى المجاعة والانهيار!

رغم الإمكانات الضخمة للقطاع الزراعي بالسودان فإن المستغل ٣١% فقط

السودان «سلة غذاء العالم الإسلامي» لكن الحكومات عجزت عن تحقيق هذا الحلم

د. أشـرف دوابـــه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

يعيش السودان حرباً ضروساً، انتقل بها من أمل الأمة الإسلامية في توفير حاجاتها من الغذاء، إلى انتشار المجاعة فيه وانهيار الاقتصاد، والكل واقف يتفرج عما دار بهذا البلد الشقيق من تدمير، إلا ممن يغذون نار الحرب من هنا أو هناك.

حينما كان يُذكر السودان في المشهد الاقتصادي، يذكر مرادفه وهو «سلة الغذاء»، بحسب تقرير لأكاديمية أوكسفورد، بسبب قطاعه الزراعي الذي كان يوظف ٥٣% من القوى العاملة، ويمثل ٢١,٨% من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠١٩م، فالسودان يذكر بمقوماته من أرض واسعة خصبة للزراعة، ووفرة من المياه للشرب وتعدد مصادرها، ومناخ مناسب للزراعة طوال العام، فضلاً عن وفرة مصادر الطاقة المتجددة والنظيفة منها، بصورة تمكنه من التميز في الاستثمار الزراعي، والثروة الحيوانية لا سيما بما يملكه من مراعٍ خصبة.

إن السودان يتمتع بمساحة ٢٤ مليون فدان صالحة لزراعة القطن بأمطار تتجاوز ٥٠٠ مل، وهي صالحة كذلك لنظام الدورة الزراعية لتشمل محاصيل القطن والفول والذرة والدخن والسمسم، وعلى سبيل المثال؛ فإن ولاية النيل الأبيض وحدها يوجد فيها أكثر من ٧٠٠ ألف فدان شمال وجنوب الولاية صالحة للزراعة والإنتاج الحيواني.

كما أن مشروع القاش بالقرب من البحر الأحمر تبلغ مساحته ٤٠٠ ألف فدان، ويتميز بأعلى إنتاجية في العالم من الري الفيضي، وكذلك مشروع أبو حبل في غرب السودان ومساحته أكثر من ٢٠٠ ألف فدان من الري الفيضي، ويضاف له المشروع الزراعي الكبير مشروع الجزيرة بوسط السودان وهو خط الدفاع الأول في تأمين الغذاء بما ينتجه من القمح والذرة في مساحة تبلغ ٢,٢ مليون فدان، فضلاً عن مشروع الجزيرة الذي تميز بإنتاجه نحو ٣٠% من جملة احتياجات السودان من القمح الى جانب إنتاجه من الذرة.

ورغم كل هذه الإمكانيات الضخمة للقطاع الزراعي في السودان فإن المستغل الفعلي من الأراضي الزراعية يعد ضئيلاً، إذ بلغ حوالي ٣١% فقط من المساحة الزراعية الكلية، كما أن الوسائل الزراعية المستخدمة وسائل تقليدية؛ ما يجعل من إنتاجية الفدان متدنية في معظم السلع الزراعية.

سلة غذاء

وقد تغنى السودان كما تغنى العرب والمسلمون معه بأنه «سلة غذاء العالم الإسلامي»، ولكن عجزت الحكومات المتوالية في السودان عن تحقيق هذا الحلم، وكان دائماً الشعار المرفوع لذلك أن المعوق عن تحقيق ذلك هو تعرض السودان للمؤامرات بصفة مستمرة، وهذا عذر كان ينبغي عدم الركون له، بل كان

الأهم التخطيط لمواجهته بمزيد من الاستثمار الزراعي وتحويل الحلم العربي والإسلامي إلى واقع.

وقد شهد العالم تبعات الحرب الروسية الأوكرانية على الأمن الغذائي العالمي، وهو ما أعاد مرة أخرى السودان إلى الواجهة الاقتصادية للمساهمة في سد النقص الذي واجهه العالم في السلع الزراعية نتيجة هذه الحرب، وفي هذا الإطار صدر إعلان نواكشوط للأمن الغذائي العربي الذي أطلقه وزراء الزراعة العرب لمعالجة التداعيات الناتجة عن آثار الحرب الأوكرانية الروسية وجائحة «كورونا» والتغيرات المناخية، واعتبر السودان من أكبر الدول المستفيدة من مشروعات الأمن الغذائي العربي باعتبار أن الإستراتيجية العربية مصممة على وجود الموارد الطبيعية ومصادر المياه التي تتوفر فيه.

البلاد تواجه خطر مجاعة حيث يعاني نحو ١٨ مليوناً بالفعل من الجوع الحاد

ما زالت المؤسسات الدولية والدول العربية عاجزة عن الحفاظ على أمن السودان

كما أوصت المنظمة العربية في الورشة التي عقدت بالخرطوم في سبتمبر ٢٠٢٢م، حول «التكامل الزراعي العربي ودوره في تحقيق الأمن الغذائي المستدام والتغلب على التحديات المعاصرة» بالاستفادة من الفرص المتاحة التي أوجدتها صعوبات الواقع الإقليمي والدولي والتبشير بمبادرة الأمن الغذائي العربي واعتماد مكوناتها في أدبيات التنمية والأمن الغذائي للدول العربية.

وأكدت التوصيات ضرورة اعتماد البرنامج العربي لاستدامة الأمن الغذائي وآليات تمويله في القمة العربية بالجزائر، والطلب من الدول العربية العمل على استغلال الفرص المتاحة وزيادة استثماراتهم الزراعية في السودان؛ بما يسهم في تحقيق الأمن الغذائي العربي المستدام.

ولكن ما حدث بعد ذلك كان أشد وأنكى، فقد تعرض السودان، منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، لحرب ضروس فاقت في فظاعتها الحرب الروسية الأوكرانية، من خلال تمرد «قوات الدعم السريع» على القوات المسلحة السودانية، وبات القتل بين السودانيين سيد الموقف، والهجرة إلى الدول المجاورة مسلكاً لا مفر منه، كما باتت المجاعة أمراً مشهوداً، في ظل نقص إمدادات الغذاء والمياه وخدمات الرعاية الصحية ليترك ٢٥ مليون شخص؛ أي أكثر من نصف السكان في حاجة لمساعدات إنسانية، ويشرد ٨,٦ ملايين شخص داخل السودان وخارجه.

خطر المجاعة

وقد ذكرت الأمم المتحدة أن الشعب السوداني يواجه خطر مجاعة وشيكاً، حيث يعاني نحو ١٨ مليون شخص بالفعل من الجوع الحاد، بما في ذلك ٣,٦ ملايين طفل يعانون من سوء التغذية الحاد، وفقاً لبيان مشترك صادر عن مسؤولين بالأمم المتحدة، منهم المفوض السامي لحقوق الإنسان.

كما ذكرت منظمة الصحة العالمية أن الأزمة في السودان قد تتفاقم في الأشهر المقبلة مع استمرار القيود على توزيع المساعدات الإنسانية والإمدادات الطبية، في الوقت الذي تواجه فيه البلاد نقصاً بنسبة تتراوح بين ٧٠ و٨٠% من المرافق الصحية، وأخطار انتشار الأوبئة والأمراض.

وأعلن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أن السودان يحتاج إلى مساعدات بقيمة ٢,٦ مليار دولار للوصول إلى ١٤,٧ مليون شخص من أصل ٢٤,٨ مليون شخص بحاجة ماسة للمساعدات، لكنه لم يحصل سوى على ١,٣ مليار دولار حتى الآن؛ أي أقل من نصف المبلغ المطلوب، وأنه مما يثير

القلق أن ١٧,٧ مليون شخص -أكثر من ثلث سكان البلاد- يواجهون انعدام الأمن الغذائي الحاد، من بينهم ٤,٩ ملايين شخص على حافة المجاعة، والأطفال المتضرر الأكبر.

كما قال رئيس مكتب الأمم المتحدة بالسودان، جوستين برادي: كانت الحرب قاسية بشكل خاص على الأطفال، إذ يعاني ما يقدر بنحو ٧٣٠ ألف طفل من سوء التغذية الحاد، وبدون مساعدة عاجلة يمكن أن يموت أكثر من ٢٠٠ ألف طفل بسبب الجوع الذي يهدد حياتهم في الأسابيع والأشهر المقبلة.

لقد أدت هذه الحرب المسعورة إلى تدهور القطاع الزراعي بشكل حاد مع بقية البنية التحتية للبلاد، حيث انخفض إنتاج الحبوب بنسبة ٤٦% في مارس ٢٠٢٤م، مقارنة بالشهر ذاته من العام السابق، كما انكمش الاقتصاد السوداني بنسبة ٤٠% في عام ٢٠٢٣م، وهبطت إيرادات الدولة بما يتجاوز ٨٠%؛ ما ألقى بثقله على الرواتب المدفوعة للعاملين بالدولة، وأسهم في تفاقم أزمة المعيشة التي تعاني بالفعل من ارتفاع الأسعار.

كل ذلك وما زالت المؤسسات الدولية والدول العربية والإسلامية تقف عاجزة عن الحفاظ على أمن السودان، الذي هو في حقيقته من صلب أمنها، لا سيما مصر الذي يجب أن تفعّل دورها لإنهاء تلك الحرب المسعورة، والحفاظ على امتدادها الجنوبي، وسر الحياة التي يجمعها مع السودان في نهر النيل، الذي يتعرض حالياً لقرصنة إثيوبية، ولا يمكن للحياة في مصر أن تستمر بدونه.■

دور المقاومة الشعبية السودانية.. بين الواقع والمأمول

محمد أبو زيد كروم
صحفي سوداني

يُعرف مصطلح المقاومة الشعبية بأن يقاوم الشعب أو مجموعة من الناس خطراً جماعياً يهدد وجودهم وحياتهم، وطالما هي مقاومة فهذا يعني أنها مدافعة أكثر من كونها مهاجمة، أو هكذا هي دلالة المصطلح.

وقد انطلقت المقاومة الشعبية في السودان بعد شهرين من اندلاع الحرب في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، بعد أن أعلن رئيس مجلس السيادة قائد الجيش الفريق أول ركن عبدالفتاح البرهان فتح باب الاستنفار وحمل السلاح لكل من هو قادر عليه للدفاع عن أهله وعرضه والبلاد، وبدأت الاستجابة بشكل رسمي لمجموعات كبيرة انخرطت في القتال بشكل مباشر؛ وذلك لأنها قاتلت من قبل في حرب جنوب السودان سابقاً ودارفور بعدها، وهي مجموعات الدفاع الشعبي والمجاهدين والمتطوعين الذين تلقوا تدريبات عسكرية في معسكرات الخدمة الوطنية، أو بما كانت تعرف بمعسكرات «عزة السودان» الذين خاضوا معارك سابقة.

وانتظمت تلك المجموعات في معسكرات الجيش مثل سلاح المدرعات بمنطقة

المقاومة الشعبية انطلقت بعد شهرين من اندلاع الحرب فور إعلان البرهان الاستنفار وحمل السلاح

الشجرة جنوب الخرطوم، وسلاح الإشارة بمدينة الخرطوم بحري، وسلاح المهندسين ومعسكرات سركاب وكرري بأم درمان وبقية الولايات الأخرى، وكان لهذه الإضافات النوعية للقوات المسلحة دور كبير في المعارك مع «قوات الدعم السريع» التي كانت مستعدة بشكل كبير مقارنة بالجيش في العتاد والمقاتلين.

وتكونت لجان المقاومة الشعبية بكل ولايات السودان عدا ولايات دارفور، باستثناء ولاية شمال دارفور التي لم تنشغل بالمعارك إلا بعد سقوط الولايات الأربع الأخرى جنوب وغرب وشرق ووسط دارفور، وتشهد معركة الفاشر المندلعة منذ أشهر دوراً قوياً للمقاومة الشعبية ومستنفريها في مساندة القوات المسلحة والقوات المشتركة المكونة من الحركات المسلحة الدارفورية التي وقعت على اتفاق السلام مع الحكومة السودانية منذ العام ٢٠٢٠م بدولة جنوب السودان.

تضارب موقف الدولة

فيما اعتبر التداعي والاستجابة لنداء المقاومة الشعبية في السودان كبيراً جداً، ولكنه اصطدام بتضارب موقف قيادة الدولة في التعامل معها والاستفادة منها، حيث ارتبكت مواقف الدولة في هذا الملف، لنجد أنها أحياناً تدعو للمقاومة وتحث الناس عليها، ثم مرة ثانية تجدها تهاجمها من بعض قيادات الجيش، ثم تجدهم مرة أخرى يمنعون عنها السلاح، وهكذا يتقلب الموقف الرسمي من المقاومة الشعبية في السودان.

الشاهد أن هذه المواقف المتقلبة من قبل الدولة دافعها ذاتي يخص القيادة الحالية وتخوفها من أن تتقوى المقاومة الشعبية وتشكل سلطتها ونفوذها الذي ينافس مكانة وطموح قيادة الدولة الحالية، أو خوفها من المجتمع الدولي الذي في غالبه يصنف حركة المقاومة والمدافعة في السودان بأنها تتبع أو يقف خلفها الإسلاميين، ولأجل ذلك أصدر مجلس السيادة قراراً بتبعية وتكوين لجان المقاومة العليا بالولايات بقرارات تصدر من والي الولاية وبتعيين منه؛ حتى تكون تلك اللجان تحت كنف الدولة وتصرفها، وهو الأمر الذي أضعف دور وفاعلية لجان المقاومة الشعبية المسلحة وحجمها، بحسب رأي الكثيرين؛ ما تسبب في ضعف الدفاع عن النفس والمناطق في كثير من الأماكن التي دخلتها مليشيا «الدعم السريع» في العاصمة الخرطوم وولايات الجزيرة وسنار وغرب كردفان.

ويقدر عدد الذين انضموا للمقاومة الشعبية بحوالي ١٠ ملايين مقاوم تقريبا في كل ولايات السودان، ويقدر تسليح المقاومين بحوالي ٢٠٠ ألف مسلح بأسلحة خفيفة من «الكلاش» إلى «الكلاشنكوف»، وهو تسليح قليل من واقع استجابة المقاومين واستعدادهم، ومن واقع استعداد الطرف الآخر الذي يجند أعداداً كبيرة من مناطق حواضنه الاجتماعية ومن دول الجوار ويدفع بهم للقتال في السودان.

لم تكن تجربة المقاومة الشعبية المسلحة الحالية في السودان الأولى، وإنما سبقتها تجارب مماثلة بالرغم من اختلاف الحروب السابقة عن الحرب الحالية مع «الدعم السريع»، حيث قدم السودان نموذجاً للسند الشعبي للقوات النظامية عبر تجربة الدفاع الشعبي الجهادية، التي تفتقت بها عبقرية نظام حكم «الإنقاذ»، وهي تجربة فذة لجهة أنها استطاعت استنهاض الشعب السوداني لمواجهة حرب عنيفة وقفت خلفها دول ومنظمات عالمية بدعم نظام الحركة الشعبية بقيادة جون قرنق لأكثر من ٢٠ عاماً قبل توقيع اتفاق سلام «نيفاشا» مع الحكومة السودانية في العام ٢٠٠٥م، ولولا وجود الدفاع الشعبي وسنده المستمر للجيش لربما نجح المشروع الغربي الأوروبي في السودان عبر سلاح قرنق، إلا أن الدفاع الشعبي شكل رافداً مستمراً للجيش بالرجال، وتعدى ذلك لحث المواطنين على التبرع والدعم للمجهود الحربي، وشكلت تجربة الدفاع الشعبي مدرسة جديدة في تهيئة وتعبئة الشعب للقتال، وجعلته شريكاً في الحرب وصاحب حق في الدفاع عن نفسه.

يقدر عدد الذين انضموا للمقاومة الشعبية ١٠ ملايين سوداني بينهم ٢٠٠ ألف مسلح بسلاح خفيف

المقاومة الشعبية قادرة على القيام بأدوار مهمة في حسم المعركة إذا وظفتها الدولة التوظيف المطلوب

الواقع والمأمول

بعد مُضي عام وثلاثة أشهر ومن واقع مجريات الحرب وتقييماً لدور المقاومة الشعبية بين واقعها والمأمول منها، نجد أن النتيجة أقل مما هو مطلوب؛ لأن التمرد استباح كثيراً من الولايات والمدن والقرى، وحجم المقاومة ومساندة الجيش كان ضعيفاً على قياس ذلك، ويرجع ذلك لسبب رئيس؛ وهو عدم تجهيز المقاومة بما يلزم من قبل الدولة، وتدخلها في تحجيم الدعم الشعبي للمقاومة من تسليح وتجهيزات أخرى، وذلك لتحكّم السلطة في أجسام المقاومة وقياداتها وتقييدها بالمؤسسة الرسمية وتعقيداتها.

ما هو مؤكد أن المقاومة الشعبية قادرة على القيام بأدوار كبيرة ومهمة في حسم المعركة الحالية، وذلك إذا ما استعانت بها الدولة بشكل جيد ووظفتها التوظيف المطلوب دون أجندة أو خوف من أدوار مستقبلية للمقاومة، حيث إن الحرب الحالية التي يشهدها السودان ليست حرباً بين جيشين أو قوات عسكرية متقاتلة فيما بينها، بل هي حرب بين جيش نظامي محترف ومليشيا مشتتة تضم قطاع طرق وعابرين للحدود همهم الأول والأخير سرقة ونهب ممتلكات المواطنين والدولة، وهي حرب ضد المواطن بالدرجة الأولى.

وقد جمعت مليشيا «الدعم السريع» في صفها أصحاب السوابق الذين أخرجتهم من السجون من معتادي الإجرام بعد اقتحامها، وآخرها ما حدث في سجن مدينة سنجة التي دخلتها المليشيا مؤخراً وأخرجت كل المسجونين وضمتهم إلى صفوفها، وهذا الكم الواسع من المتفلتين الذين يعملون في نهب وسلب المواطنين يحتاجون إلى قوة شعبية مدافعة ومساندة للجيش، وهذه الميزة تتوفر في المقاومة الشعبية التي تستطيع إنجاز هذه المهمة في أماكنها السكنية والتجارية شريطة ترتيبها وتنظيمها وتسليحها، وبذلك يتكامل الدور الشعبي والرسمي، وتكتمل متطلبات المقاومة الشعبية في السودان في مواجهة حرب جديدة وغريبة على السودانيين قوامها المجرمون والمرتزقة الأجانب.

إن المقاومة الشعبية السودانية قدمت أدوراً كبيرة في الحرب الحالية، ولكنها دون المأمول منها؛ لأسباب ترجع للدولة وليس للمقاومة كجسم شعبي تلقائي مستقل، ومن الممكن أن تقدم عملاً كبيراً إذا ما تمت مراجعة ومعالجة للتجربة الحالية وإصلاح المقاومة الشعبية لتؤدي هدفها المطلوب دون أي تدخلات أخرى.■

الخريطة السياسية والعسكرية السودانية بعد البشير

برز الخطر الأكبر عندما أصبحت «الجنجويد» ظهيراً عسكرياً بالساحة السودانية بعد الثورة على البشير

هنـد شوقـي أبوعكـر
باحثـة وأكاديميـة سودانيـة

ظل السودان يعاني من حالة عدم الثقة والتنازع حول السلطة بدوافع ليست كلها خارجية، وإنما كان للأحزاب السياسية الدور الأكبر في ذلك، إضافة للتنازع الإثني والقبلي في بلد متعدد الثقافات مترامي الأطراف جعله ذا بنية سياسية هشة لم تستطع الصمود كثيراً في وجه المؤثرات الإقليمية والدولية التي أثر فيها الوضع الاقتصادي المتردي، وغياب الدور الفاعل للهيئات والمنظمات العربية والأفريقية.

فالسودان يتشارك حدوداً مفتوحة مع ٦ دول، منها اثنتان عربيتان، وتعرضت البلاد لنحو ٢٠ انقلاباً عسكرياً نجح منها ٧ محاولات، محتلة بذلك المرتبة الأولى أفريقياً، والثانية عالمياً، وقد كان للأحزاب اليسارية ذات التوجه العلماني النصيب الأكبر في تلك المحاولات بسبب رغبتها في السلطة، برغم تعارض مبادئها مع الثقافة الغالبة للمواطنين وتوجهاتهم.

مليشيا «الجنجويد»

لا أحد يستطيع الجزم بتاريخ ظهور مليشيا «الجنجويد»، ولكن تعاونها مع الأحزاب بدأ في فترة الديمقراطية الثانية قبل حكومة عمر البشير، حيث لجأ حزب «الأمة» لعقد تحالفات مع عدة واجهات دارفورية في تلك الحقبة، وبحسب التاريخ القريب، فقد استعان الرئيس المخلوع البشير بالمليشيا لمواجهة التمرد في إقليم دارفور، وبرز حميدتي كقائد للمليشيا التي تتكون من شباب من عدة قبائل عربية ذات امتداد أفريقي رعوي ليس لهم حظ تعليمي ولا تدريب عسكري نظامي، وإنما ينتهجون أسلوب الفزع؛ وهو أن تنصر ابن قبيلتك ظالماً أو مظلوماً؛ مما أغرى الكثيرين منهم بالانضمام للمليشيا.

وبرز الخطر الأكبر عندما أصبحت المليشيا ظهيراً عسكرياً قوياً في الساحة السودانية بعد الثورة على البشير، فلجأت أحزاب قوى الحرية والتغيير (قحت) للتحالف معها لمواجهة الجيش الوطني النظامي، فتم استدعاء حميدتي من دارفور ليدخل بقواته إلى الخرطوم متمدداً في كل فراغ أحدثه التغيير الثوري ضد البشير، مستفيداً من علاقاته الدولية التي تعاظمت بعد مشاركة قواته في اليمن ووضع يده على موارد اقتصادية عملاقة كجبل الذهب عامر في دارفور.

وأصبحت «قحت» الذراع السياسية للمليشيا، وذلك بالتوقيع على الوثيقة الدستورية في مناصفة مع الجيش بعد التغيير، وجاءت بحكومة من المدنيين باعتبارهم ممثلاً وحيداً لقوى الثورة، وقامت المليشيا بفض اعتصام المتظاهرين الذين عارضوا الوثيقة، وتم في إثر ذلك تنصيب حميدتي رئيساً للوزراء، كما تم تنصيب حميدتي رئيساً للجنة الاقتصادية لتلك الحكومة الوليدة؛ فتضخم نفوذه في ظل غياب

للمؤسسة العسكرية، وتضييق على الشرفاء والوطنيين من منسوبي الأجهزة النظامية والعسكرية، وتسريح للكتلة الصلبة منهم؛ مما خلق هشاشة أمنية وضياع لأدنى مظاهر الدولة والنظام، فكان الانقضاض الحتمي للمليشيا على الجيش الوطني في أبريل ٢٠٢٣م بهدف تنصيب حميدتي حاكماً للبلاد، واعتبار المليشيا بديلاً للجيش الوطني بعد القضاء على قيادته والانتصار الميداني على قواته.

لم تستفد أحزاب قوى الحرية والتغيير من الحكمة التي تقول: «عدو عاقل خير من صديق جاهل»، فاختاروا التحالف مع حميدتي الذي ضاعف قواته بالفزع القبلي الذي لا يعترف بالحدود السياسية للدول، فجاؤوا من كل دول غرب أفريقيا في محاولة لفرض استعمار استيطاني بكل أدوات البطش والتنكيل بسكان الولايات السودانية؛ قتلاً ونهباً واغتصاباً، وكانت «قحت» تشكل لهم الغطاء السياسي والإعلامي في ظل غياب متعمد للإعلام العربي والدولي الذي وقف مسانداً للتغيير في السودان.

وأطلقت المليشيا سراح نزلاء السجون المحكومين في قضايا قتل ومخدرات وإرهاب لتستعين بهم وبالمرتزقة من دول الجوار في حربها الشاملة على السودان؛ فتم احتلال المنازل ونهب الممتلكات وقتل المواطنين العزل بعد التنكيل بهم واغتصاب حرائرهم في ظل غياب تام للإعلام المحلي والعالمي، واستهداف للصحفيين والمراسلين؛ فأصبحت بحق من أبشع الحروب دموية وهمجية في العصر الحديث.

قيادة الجيش

اختارت قيادة الجيش السوداني المواجهة وعدم تسليم البلاد للاحتلال، وتدافع المواطنون من كل أنحاء السودان مستنفرين مقاتلين إلى جانب الجيش، كما شاركت حركات الكفاح المسلح التي وقَّعت مع الجيش اتفاقية سلام في جوبا بعد التغيير بقواتها في الحرب على المليشيا، بالإضافة إلى منسوبي جهاز المخابرات العامة الذين تم تسريحهم سابقاً، توحدت كل هذه القوى دعماً للجيش ورفضاً لمشروع المليشيا المدعوم سياسياً بـ«قحت» (غيرت اسمها إلى «تقدم» بقيادة حمدوك، رئيس الوزراء المستقيل) ومدعوم دولياً وإقليمياً ببعض دول الجوار والأشقاء الذين راهنوا على المليشيا فخسر رهانهم.

وقد توجت هذه الوحدة الوطنية بإعلان المقاومة الشعبية والحرب الشاملة ضد الغزو الجنجويدي في ظل عزلة دولية فرضتها الدول الداعمة للتغيير في السودان؛ مما اضطر القيادة السودانية للاتجاه نحو المعسكر الشرقي لكسر هذه العزلة وتثبيت أركان الانتصار.

المبادرات التي تقدمت بها بعض الدول والمنظمات منذ بداية الحرب كانت في مجملها معترِفة بالمليشيا كطرف أصيل في النزاع، دون توجيه أي إدانة أو تجريم لحربها على المواطنين والأعيان المدنية والاغتصاب والتعذيب والنهب والسلب، وربما هدف بعضها لتسيق مواقف المليشيا على أرض المعركة بتضخيم مواقع سيطرتها إعلامياً، ومحاولة ترتيب الجانب السياسي لمجموعة حمدوك تمهيداً لمحاولة الإعلان عن حكومة في مناطق سيطرة المليشيا، ولكن اختفاء القيادات العسكرية للمليشيا من الميدان، وعدم توافق القوى المدنية الداعمة للمليشيا أفشل هذا المخطط.

وعلى صعيد آخر، فإن مؤتمر جدة لم يقدم آلية واضحة لتنفيذ مخرجاته على الجانب الإنساني، بإلزام المليشيا بالخروج من المنازل وعدم التعرض للمدنيين، ذلك أن طبيعة تكوين المليشيا كعصابات سلب ونهب وتقتيل منع من إمكانية التوصل لاتفاق ملزم وأخلاقي معها، وهي تستبيح القرى والمدن في أبشع صورة للجريمة المنظمة في التاريخ المعاصر، مستفيدة من إمكانات التواصل الشبكي في بث صور الإرهاب والتقتيل والاغتصاب.

مؤتمر القاهرة

وفي مطلع يوليو ٢٠٢٤م، استطاعت مصر تنظيم مؤتمر القاهرة الذي جمع الفرقاء السياسيين الداعمين للمليشيا من جهة، والداعمين للجيش من جهة أخرى، هذا المؤتمر الذي لم يتم التوافق والتوقيع على مخرجاته ولا اعتماد مخاطبات وكلمات للوفود المشاركة فيه، كان من ثمراته أن أرسلت مصر رسائل واضحة للمجتمع الدولي:

أولاً: عدم اعترافها بالمليشيا التي سبق أن أسرت الطيارين المصريين في مطار مروي قبيل الحرب بساعات.

ثانياً: إن مجموعة حمدوك لا تملك تفويضاً شرعياً وحيداً للمدنيين والسياسيين في السودان، وإنما هنالك مكونات أخرى مساندة للجيش.

ثالثاً: اعترافها بشرعية الجيش السوداني ممثلاً لسيادة الدولة.

رابعاً: رفضها للتدخلات الأجنبية في الحرب، وأن الحل يجب أن يكون سودانياً مستقلاً.

وبرغم تواضع مخرجات مؤتمر القاهرة وعدم مخاطبته للحكومة السودانية بالمشاركة، فإنه أعطى مؤشرات أوضحت تفوق الجيش النظامي على المليشيا، فما هي إلا ساعات وبدأ مطار بورتسودان باستقبال الوفود الدبلوماسية الرفيعة، وسارعت إثيوبيا لتدارك موقفها من الحرب بعد أن أدركت خسرانها للرهان على مجموعة حمدوك الحليفة للمليشيا، وشرعت في تغيير موقفها تجاه الجيش والحكومة السودانية.

فيما توافقت القوى الشعبية والقيادات الأهلية والمجتمعية وحركات الكفاح المسلح وجيشها الوطني على تحرير السودان أولاً، ثم الانتقال بكل شفافية وعزيمة صادقة لصناديق الانتخابات بعد فترة انتقالية تتعافى فيها البلاد من ويلات الحرب والتهجير، وينتظر السودانيون تعيين حكومة انتقالية لهذه الفترة، ومن ثم الاستعداد للانتخابات.■

انقضاض «الدعم السريع» على الجيش كان لتنصيب حميدتي حاكماً واعتبار المليشيا بديلاً للجيش الوطني

قيادة الجيش اختارت المواجهة وعدم تسليم البلاد للاحتلال وتدافع المواطنون مستنفرين مقاتلين إلى جانبها

إسلاميو السودان.. إلى أين؟

لإسلاميي السودان جذور راسخة وقديمة في سودان ما بعد الاستقلال وخبروا العمل السياسي لفترات طويلة

بعد التغيير السياسي الذي حدث في السودان، في أبريل ٢٠١٩م، الذي أسفر عن الإطاحة بنظام «الإنقاذ» وإسقاط حكومة الرئيس عمر البشير، انتاب الكثيرين خاصة خارج السودان شعورٌ بالإشفاق على الإسلاميين في السودان، باعتبار أن نظام البشير كان إسلامياً؛ وبالتالي فإنه بعد الإطاحة به ينتظر الإسلاميين مصيرٌ مظلمٌ، هكذا كان بعض الشعور لدى كثير من المسلمين، وهكذا كان الأمل لدى كثير من العلمانيين ودعاة التغريب، فما الذي حدث لإسلاميي السودان خلال هذه السنوات الخمس بعد التغيير؟ وما الذي يمكن أن ينتظرهم على الأقل في المدى المنظور؟

حسن عبدالحميد
كاتـب ومحـلل سياسـي

خلفية تاريخية:

ينبغي أولاً أن نحدد ما المقصود بالإسلاميين؟ وما جذور نشأتهم ومسار تطورهم بإيجاز؟

مصطلح «الإسلاميون» حينما يُطلق يُقصد به عادة المنتمون إلى المدارس والفصائل والواجهات الإسلامية التي تعود أصولها وتستقي مبادئها من مدرسة الإخوان المسلمين التي أسسها الإمام حسن البنا في مصر عام ١٩٢٨م، ثم ما لبثت أن انتشرت في كل الأقطار العربية والإسلامية في وقت وجيز.

دخلت دعوة الإخوان إلى السودان في أربعينيات القرن الماضي في حياة الإمام البنا، لكن أول مؤتمر عام للإخوان المسلمين في السودان انعقد بأمدرمان في أغسطس ١٩٥٤م قبيل استقلال السودان بعامين.

ثم ما لبث أن أسس الإخوان المسلمون مع آخرين قبيل الاستقلال جبهة الدستور الإسلامي للمناداة بالدستور الإسلامي على مشارف الاستقلال.

وفي فترة الديمقراطية الثانية (١٩٦٤ - ١٩٦٩م) عاد الإخوان المسلمون وأسسوا مع آخرين جبهة الميثاق الإسلامي التي ضمت سلفيين وصوفية مستقلين كواجهة سياسية واصلوا بها المناداة بالدستور الإسلامي الذي كاد أن يجتاز مرحلة القراءة الأخيرة في الجمعية التأسيسية، لولا أن أطاح بالنظام كله الانقلاب العسكري في مايو ١٩٦٩م، وهو انقلاب يساري علماني يستهدف الإسلاميين بصبغته الأيديولوجية وطبيعته السياسية،

وجرت بعدها مياه كثيرة تحت جسور السياسة السودانية، واستمر نظام مايو إلى العام ١٩٨٥م حيث أطاحت به في أبريل من ذلك العام ثورة شعبية.

بعد انتفاضة أبريل ١٩٨٥م، أسس الفصيل الأكبر للإسلاميين الجبهة الإسلامية القومية التي حلّت كقوى ثالثة في الجمعية التأسيسية وقادت المعارضة وشاركت في بعض الحكومات، إلى أن شعرت بالتآمر عليها ومحاولة إبعادها بالقوة وبتواطؤ قوى إقليمية ودولية؛ فقامت بالإطاحة بالنظام كله عبر انقلاب «الإنقاذ»، في يونيو ١٩٨٩م، الذي أطيح به بعد ٣٠ عاماً في التغيير الذي أشرنا إليه آنفاً، في أبريل ٢٠١٩م.

من هذا الاستعراض الموجز المختصر يتضح أن لإسلاميي السودان جذوراً راسخة وقديمة في سودان ما بعد الاستقلال، إذ إنهم نشؤوا قبل استقلال السودان وشاركوا بفاعلية في كل الحقب السياسية التي أعقبت الاستقلال وإلى اليوم، كما يتضح أن إسلاميي السودان خبروا العمل السياسي وعركوه لفترات طويلة مما أكسبهم خبرة سياسية لم تتوفر لغيرهم من الإسلاميين بالمنطقة.

ما بعد تغيير ٢٠١٩م:

كما أسلفنا، فإن تغيير أبريل ٢٠١٩م السياسي أطاح بنظام «الإنقاذ» الإسلامي، وتسلّم الحكم بعد ذلك د. عبدالله حمدوك اليساري القديم ذو التوجه العلماني الواضح، تدعمه قوى إقليمية ودولية ظنت أن الفرصة سانحة للقضاء على الإسلاميين، وفعلاً توالت على الإسلاميين بعد ذلك مجموعة من المحن قادها د. حمدوك ومَن وراءه من قوى محلية وإقليمية ودولية للقضاء على الإسلاميين.

وتمت عملية اعتقالات واسعة للإسلاميين، حتى إن الأمين العام السابق للحركة الإسلامية الزبير أحمد حسن قد توفي في السجن، وكذلك شقيق الرئيس البشير وبعض قياديي الإسلاميين، وشُنت

توالت على الإسلاميين محن قادها حمدوك ومَنْ وراءه مِنْ قوى محلية وإقليمية ودولية للقضاء عليهم

حملات تشهير إعلامية واسعة ضد الإسلاميين، وصودرت كثير من أملاكهم، وحجزت الكثير من أموالهم، وفُصل الكثير من وظائفهم وشُردوا عبر اللجنة سيئة الذكر المسماة بـ«لجنة إزالة التمكين»، وهذا استعراض يسير لما تم من استهداف الإسلاميين بعد تغيير عام ٢٠١٩م.

انقلاب الأوضاع:

لكن حدث حادثان مهمان في السودان في الفترة الماضية قلبا الأوضاع رأساً على عقب، وأثّراً وما زالا يؤثران على الأوضاع السياسية في السودان ضمن تفاعلات أخرى.

الأول حدث في أكتوبر ٢٠٢١م؛ إذ أصدر الفريق أول عبدالفتاح البرهان، رئيس مجلس السيادة القائد العام للجيش السوداني، بياناً عسكرياً حلّ فيه الحكومة، واعتقل رئيس الوزراء د. حمدوك وبعض وزرائه، وجمّد نصوصاً من الوثيقة الدستورية التي أرادوا لها أن تكون بمثابة دستور يحكم الفترة الانتقالية، هذه الإجراءات أفقدت تحالف قوى الحرية والتغيير الحاكم (قحت) موقعه

في السلطة التي تسنّمها بغير حق بمساعدة الخارج، وأفقدته أيضاً صوابه؛ فطفق يهدد ويتوعد.

على مستوى الإسلاميين، خففت هذه الإجراءات الضغوط عليهم، وألقت بآثارها السلبية على «قحت» التي فشلت في إدارة الدولة؛ مما جلب عليها السخط الجماهيري، بل وأعادت هذه القرارات كثيراً من الإسلاميين إلى وظائفهم التي فقدوها؛ لأن القرارات جمّدت «لجنة إزالة التمكين» سيئة الذكر وأبطلت قراراتها.

ولكن للأسف لم يمضِ الفريق البرهان بهذه القرارات إلى نهاياتها، فأفرج عن د. حمدوك وأعاده لمنصبه رئيساً للوزراء بعد فترة وجيزة، لكن ما لبث د. حمدوك أن استقال من منصبه في يناير ٢٠٢٢م في إعلان واضح عن فشله في حكم السودان في مرحلة مفصلية وخطيرة.

الحدث الثاني الذي قلب الأمور في السودان بشكل مأساوي تمرد مليشيا «الدعم السريع»، في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، ومحاولتها الاستيلاء على السلطة وقلب نظام الحكم بالقوة، ورغم أن كل المؤشرات كانت تقود إلى نجاح هذا الانقلاب؛ لأن المليشيا المتمردة كانت تسيطر على كثير من المواقع الإستراتيجية بالعاصمة، وبسبب الدعم الخارجي الضخم والإمداد بالسلاح والاستعانة بمرتزقة من الدول الإفريقية، فإن لطف الله، ثم صمود القوات المسلحة السودانية ببسالة عجيبة ومهنية عالية أفشل الهدف الرئيس للمؤامرة وأجهض محاولة تقويض الدولة وإسقاط نظام الحكم.

إلا أن مأساة الحرب ما زالت مستمرة بسبب الدعم الخارجي للمليشيا المتمردة وأطماع قوى إقليمية في ثروات وأرض السودان ومقدّراته، رغم أن الجيش السوداني والحركات المسلحة المتحالفة معه والمقاومة الشعبية قد أفشلت المرحلة الأولى والأخطر

منذ بداية تمرد «الدعم السريع» وقف الإسلاميون عبر بياناتهم ومواقفهم ضده وأعلنوا دعمهم للجيش

ما ذهب إليه الإسلاميون من مقاومة المخططات الأجنبية وكشفها هو ما انتهت إليه معظم القوى الوطنية

من المؤامرة.

موقع الإسلاميين من الأحداث:

ما أثر كل ذلك على الإسلاميين في السودان ونتائجه على مستقبلهم؟ معظم الإسلاميين منذ الأيام الأولى للتغيير الذي حدث في أبريل ٢٠١٩م أحسوا أن هناك أيادي خارجية وراء التغيير، وحتى بعض الإسلاميين ممن دعموا التغيير أولاً تكشفت لهم حقائقه فيما بعد؛ فعدلوا عن موقفهم، ثم تأكد لكل الإسلاميين بعد ذلك حجم المؤامرة ضد الإسلاميين بعد تشكيل حكومة د. حمدوك في أغسطس ٢٠١٩م، فالرجل يساري قديم وعلماني عريق، كما أسلفنا، وكل سياساته وخططه كانت مرتهنة للخارج.

وتأكد الأمر باستدعائه عام ٢٠٢٠م لبعثة الأمم المتحدة إلى السودان بخطاب أرسله دون علم من مجلس الوزراء ولا مجلس السيادة في خطوة خطيرة تنتقص من السيادة الوطنية وتضع السودان على أعتاب التدخل الدولي، ثم اتضح جلياً استهداف د. حمدوك وحكومته للإسلاميين من خلال «لجنة إزالة التمكين» والاعتقالات الكثيفة للإسلاميين، وحلّ المنظمات الإسلامية الخيرية وعلى رأسها منظمة الدعوة الإسلامية وغيرها من المنظمات.

إزاء ذلك قاد الإسلاميون معارضة قوية ضد د. حمدوك وحكومته اتسمت بالقوة والسلمية، رغم أن حكومة د. حمدوك واجهتهم بالاعتقالات والملاحقات.

مستقبل الإسلاميين:

والآن بعد زوال حكومة د. حمدوك وقيام الحرب في السودان، ما موقف إسلاميي السودان؟ وإلى أين يمضون؟

منذ الأيام الأولى لاندلاع تمرد مليشيا «الدعم السريع» ضد الدولة وقف الإسلاميون عبر بياناتهم وعبر مواقفهم العملية ضد هذا التمرد، باعتباره يهدد وجود الدولة السودانية، وأعلنوا دعمهم للجيش السوداني والقوات المشتركة والمقاومة الشعبية من أجل كسر شوكة التمرد والمحافظة على الدولة السودانية وجيشها الوطني.

موقف الإسلاميين من الحرب في السودان يمثل الموقف الصحيح تاريخياً ووطنياً تسنده الحقائق التالية:

– إن استهداف الجيش الوطني استهداف لوجود الدولة السودانية نفسها، فالجيش السوداني أحد أهم ممسكات الوحدة الوطنية.

– المؤامرة على الجيش السوداني يقودها منذ عقود اليسار السوداني بأطروحته المعلنة أن الجيش السوداني جيش برجوازي يحقق مصالح الرأسمالية السودانية والأيديولوجيات الإسلامية بمختلف مسمياتها، ومن هنا جاءت ضرورة مناهضة هذا المسار اليساري العلماني.

– هناك قوى إقليمية ودولية طامعة في موارد السودان الذي يعيقها عن تنفيذ أهدافها جيش وطني متماسك ذو عقيدة قتالية صائبة؛ لذلك تسعى هذه القوى لإضعاف الجيش السوداني.

– تبنّي وتشجيع المقاومة الشعبية يمثل الصخرة التي ستتحطم عليها أوهام القوى الإقليمية والدولية الساعية لابتلاع السودان وتقسيمه وإضعافه.

– ما ذهب إليه الإسلاميون من مقاومة المخططات الأجنبية وكشفها وتعريتها هو ما انتهت إليه معظم القوى الوطنية السودانية وعدد كبير من الحركات المسلحة، وأصبح أجندة وطنية يلتقي عليها معظم أبناء السودان، ومن المؤمل أن تتعاظم هذه الكتلة السياسية الوطنية على أساس وحدة السودان؛ شعباً وأرضاً وجيشاً، ومقاومة التدخل الخارجي والأطماع الدولية يوماً بعد يوم إلى أن تُفسد المخطط الشرير وتتسيّد المشهد السوداني.■

حميدتي.. من تجارة الإبل إلى السعي لحكم السودان!

قاسم الظافر
الأمين العام للحركة الوطنية للبناء والتنمية

تعتبر رحلة محمد حمدان دقلو (حميدتي) من التجارة إلى السلطة من الرحلات المثيرة للاهتمام، إذ تجسد الأزمة السودانية بتحولاتها المختلفة، وصولاً إلى آخر تمثلاتها في نسختها الأخيرة التي أنتجت حرب تمرد ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، والمتتبع لبدايات هذه الرحلة سيجد نفسه أمام مشروع سلطوي قديم، خُدم بعناية وحرص شديدين، أخذ يتطور ويتمدد شيئاً فشيئاً، مستغلاً ضعف الدولة ونظامها السياسي تارة، وموظفاً الاصطفافات القبلية تارة أخرى، في إقليم مليء بالصراعات المطلبية (السياسية والاقتصادية) ومعبأ بالمواجهات الجهوية.

نشأ حميدتي في بادية شمال دارفور، حيث ينتمي إلى الماهرية، وهم فرع من عرب رزيقات الشمال الذين يمتهنون حرفة الرعي، وخصوصاً رعي الإبل؛ لذا يطلق عليهم «عرب أباله»، في حدود عام ١٩٨٣م بدأت أول التحولات العنيفة، حيث اجتاحت تلك المناطق موجة جفاف عنيفة قضت على الأخضر واليابس، ودفعت الكثيرين من أبناء تلك المناطق إلى تغيير أنماط إنتاجهم التقليدية (الرعي والزراعة) إلى أنماط إنتاج أكثر أمناً تسعفهم بالمحافظة على ثرواتهم من الضياع والتلف، فاتجه معظم سكان تلك المناطق إلى التجارة الحدودية، وذلك بحكم موقع إقليم دارفور الجغرافي المتاخم لبعض الأسواق في ليبيا وتشاد المجاورتين.

ومن ضمن هؤلاء كان محمد حمدان الذي انخرط مدفوعاً نحو النشاط التجاري استجابة للتحديات الطبيعية القاسية التي اجتاحت المنطقة، ونشطت تجارته من نوحي دارفور عن طريق الكفرة ثم إلى مصراتة في العمق الليبي، إذ أصبحت مسألة المحافظة على الثروة التي تمثلها قطعان الإبل موازية لحالة البقاء والوجود، إذ يعتبر أي تهديد يستهدف قطعان الإبل خاصتهم بمثابة تهديد مباشر لوجود هذه المجموعات الرعوية في المنطقة؛ لذا كان من أهم متطلبات استمرار الحركة التجارية واستقرارها ضرورة تأمين الطرق التجارية من وإلى مناطق الإنتاج والأسواق.

ساهمت أزمة التمدن وتأخره في دارفور والمتمثلة في تقليدية أنماط الإنتاج، وشُح توفير الخدمات الأساسية نتيجة للضعف

والإهمال الحكومي، إضافة إلى الظروف المناخية والطبيعية القاسية في تردي وسوء الأوضاع المعيشية لمعظم سكان الإقليم؛ ما دفع عدداً من المجموعات المسلحة التي تنتمي إلى مكونات اجتماعية ذات أصول أفريقية بإعلان تمردها على الدولة، معبأة ببعض المطالب السياسية والاقتصادية بغية تحسين أوضاعها في الإقليم.

وكان أول ما استهدفته الحركات المتمردة الحواضر (المدن) المهمة في الإقليم، مستهدفة بذلك الأسواق، وطرق التجارة التي تعرضت للنهب والسلب، كما استهدفت النقاط والمراكز الحدودية لتعطيل الحركة التجارية، لضرب مشروع الاستقرار الذي لم يمكث طويلاً أصلاً.

إستراتيجية الميليشيا:

منذ اندلاع التمرد المسلح في دارفور عام ٢٠٠٣م، وما ترتب عليه من تعطيل للنشاط التجاري، وجد حميدتي نفسه كحال بقية التجار أمام تحدٍّ جديد لا طاقة لهم بمواجهته، إذ لجؤوا للدولة لمساعدتهم في مواجهة خطر التمرد الذي بات يتعاظم خطره من جهة، وبدأت تتآكل معه قاعدتهم التجارية ومصدر كسبهم من جهة أخرى، مستفيدين في ذات الوقت من رغبة الدولة في القضاء على التمرد وبسط سيطرتها على الإقليم المضطرب.

بانضمامه إلى صفوف قوات «الجنجويد» كانت هذه أول تحولات محمد حمدان التاجر إلى حميدتي المقاتل

كانت الحكومة في الخرطوم قد أعلنت في وقت سابق عن إستراتيجيتها لمواجهة التمرد والقضاء عليه في دارفور، عن طريق تكوين مليشيات الجنجويد (المجموعات العربية في دارفور) التي بدأت تأهيلهم في معسكرات خاصة، تحت مظلة قوات حرس الحدود بقيادة الزعيم العشائري موسى هلال، زعيم قبيلة المحاميد، التي آثر أن ينضم إليها حميدتي مع مجموعة من أهله المتضررين، ليكون ضمن صفوف أفراد الاستخبارات التابعين لها، وكانت هذه أول تحولات محمد حمدان التاجر إلى حميدتي المقاتل.

التمرد الأول لمحمد حمدان (حميدتي)

حميدتي نشأ في بادية شمال دارفور وينتمي إلى الماهرية وهم فرع من عرب رزيقات الشمال يمتهنون رعي الإبل

في الفترة من عام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٥م صالت وجالت مجموعات «الجنجويد» مستهدفة بشراسة مواقع التمرد في ملاحقتها للحركات المسلحة، مخلفة وراءها الكثير من الجرائم الإنسانية والانتهاكات؛ مما لفت أنظار العالم إلى قضية دارفور بجانبها اللاإنساني، كان وقع هذه الأحداث على عدد من رموز النظام السياسي في السودان قاسياً جداً، بحيث أصبحوا مطالبين دولياً من قبل المحكمة الجنائية، بمن فيهم رئيس الجمهورية وزعيم المحاميد هلال نفسه؛ الأمر الذي دفع الحكومة إلى تغيير خطتها، عبر الإسراع في تحقيق سلام تستدرك به أخطاءها، وبدأت على الفور التفاوض مع أحد فصائل التمرد (فصيل أركو مناوي) الذي توج باتفاق أبوجا عام ٢٠٠٦م، بموجبه حصل أركو مناوي على قسمة من السلطة، وعُين مستشاراً لرئيس الجمهورية.

شعر حميدتي ومقاتلوه بالإهمال من قبل الحكومة، لعدم مكافأتهم بصورة مجزية توازي تضحياتهم، وعلى إثر ذلك جمع مقاتليه، وكوَّنوا قوة تحت مسمى «الوعد الصادق»، وأعلنوا تمردهم على النظام، مستأثرين بعدد لا يستهان به من السيارات والأسلحة الخفيفة وأجهزة الاتصال.

ظهور «قوات الدعم السريع»:

بعد أن قامت حركة العدل والمساواة السودانية بقيادة خليل إبراهيم عام ٢٠٠٨م بتنفيذ عملية «الذراع الطويل» التي استهدفت العاصمة الخرطوم، عزمت الحكومة هذه المرة على القضاء على التمرد نهائياً في دارفور، عبر تأسيس قوة عسكرية سريعة أكثر فتكاً عن سابقاتها،

بعد نجاح «الدعم السريع» في أزمة دارفور تطلع حميدتي لممارسة أدوار خارجية بمشاركته بـ«عاصفة الحزم»

ثورة ديسمبر ٢٠١٨م مهدت الطريق لـ«الدعم السريع» بالاستحواذ على نصيب غير مسبوق من السلطة

حميدتي وظَّف كل الفرص الداخلية والخارجية مستغلاً ضعف النظام السياسي وتبني أجندة المحاور الإقليمية

مع مراعاة الجوانب المهنية والتنظيمية، والتشريعية في تأسيسها، لذلك عمدت السلطات السودانية على إجازة قانون ينظم «قوات الدعم السريع» من داخل البرلمان في يناير ٢٠١٧م.

شكلت هذه المرحلة مساحة جديدة من النفوذ لحميدتي، إذ لأول مره بات مستقلاً بقوة لا يُستهان بها، وقام هو بأدوار مُرضية للحكومة خاض معارك عديدة استطاع من خلالها أن يقضي على جذوة التمرد، وأعاد الاستقرار النسبي لإقليم دارفور، بالمقابل مدّته الحكومة بالمزيد من السلاح والعتاد، والمال، ولأول مره أصبحت هنالك مؤسسة شبه عسكرية تديرها أسرة آل دقلو محمية بقانون وتشريع، وذات نفوذ كبير واستثمارات ضخمة.

من بعد النجاح الكبير الذي حققته «قوات الدعم السريع» في إدارة أزمة دارفور، بدأ يتطلع حميدتي لممارسة أدوار خارج الإطار المحلي، وسنحت الفرصة من خلال المتغيرات في منطقة الخليج عبر مشاركته بقواته في «عاصفة الحزم» عام ٢٠١٧م، التي انخرطت فيها الحكومة السودانية مقابل إعادة توطيد علاقاتها مع النادي الخليجي، مقابل حصولها على بعض الدعومات المالية لمواجهة تحدياتها الاقتصادية التي كانت تحيط بها من كل جانب تقريباً.

بفضل مشاركته الخارجية، استطاع حميدتي أن يضاعف أعداد قواته لتتجاوز ٢٠ ألفاً بحجة تعزيز قواته في «عاصفة الحزم»، كما ولأول مرة ارتبطت مؤسسته العسكرية بأذرع إقليمية وعالمية («فاغنر» الروسية)؛ مما ساعده ذلك على خلق مجال حيوي إقليمي وعالمي جديد ذي أبعاد جيوسياسية، فضلاً عن تطويره لجملة من العلاقات العسكرية والاستثمارية في غاية الأهمية، كما توفرت له مداخيل مجزية وثروة طائلة ساعدته على تجنيد المزيد من الشباب، من داخل وخارج السودان، كما ساعدته على رفع كفاءة قواته وتطوير قدرات نوعية في التسليح والتأهيل.

حميدتي من بعد الثورة السودانية:

شكلت فترة ثورة ديسمبر ٢٠١٨م، والمرحلة الانتقالية التي تلتها أهم مراحل التي مهدت الطريق لـ«قوات الدعم السريع» بالاستحواذ على نصيب مقدر وغير مسبوق من السلطة خصوصاً على المستوى السيادي، سواء بصورة مباشرة عبر تنصيب حميدتي كنائب لرئيس مجلس السيادة الانتقالي، أو بصورة غير مباشرة من خلال مد أذرع «قوات الدعم السريع» في بعض المناصب السيادية الأخرى، وتحكمها في بعض مؤسسات الدولة الحيوية.

بات المناخ مهيأً أكثر من أي وقت مضى لحميدتي للتقدم نحو تحقيق مكتسبات إضافية لمصلحة مشروعه السلطوي، وكسب أراضٍ جديدة على حساب الثورة وسياسييها الأغرار، لتقوم مؤسساته بالتمدد على حساب المؤسسات الأمنية الأخرى، ومدّ أذرعها الاستثمارية من خلال شركة الجنيد، والسيطرة على صادرات الذهب، واحتكار مؤسساته الاقتصادية لتوريد المشتقات البترولية للبلاد، لم يكتفِ بذلك وحسب، بل امتدت سطوته لتطال القطاع المصرفي من خلال استحواذها على بنك الخليج، والمساهمة بنسبة مقدرة في بنك الثروة الحيوانية.

على هذا النحو، استطاع حميدتي من كونه تاجر إبل مغامراً، منطلقاً من طموحة الشخصي المتهور، أخذ يوظف كل الفرص الداخلية والخارجية المتاحة، ويطوّع كافة الظروف مستفيداً من تخبط الدولة وهشاشتها، وسياساتها المضطربة، مستغلاً ضعف النظام السياسي، والاستثمار في حالة التغيير، مع تبني أجندة المحاور الإقليمية، متوجاً كل ذلك بمحاولته الفاشلة بالانقضاض على السلطة وحكم السودان، في السبت ١٥ أبريل ٢٠٢٣م.■

من العقاب الجماعي إلى التغيير الديموغرافي..

لماذا يهدم الاحتلال منازل الفلسطينيين ومنشآتهم؟

يشكل الوجود الفلسطيني في القدس المحتلة عقبة كأداء أمـــام مشاريـــع الاحتلال ومخططاتـــه فـــي وجه تهويد المدينة المحتلة، إذ تسعى سلطات الاحتلال إلى خفض أعداد الفلسطينيين، القاطنين في المدينة، ودفعهم نحو الخروج من القدس من خلال عدد من السياسات، من بينها سحب بطاقات الهوية الزرقاء (الإقامة الدائمة)، والتضييق على قطاعات المقدسيين الحياتيّة، وفي مقدمتها الاقتصاد والتعليم، وأخيرًا هدم منازل الفلسطينيين، وحرمان المقدسيين من السكن.

ونقدم في هذا المقال إطلالة على سياسة هدم منازل الفلسطينيين، وأشكال الهدم المطبقة، وأبرز أهداف الاحتلال من المضي في هذه السياسة، خاصة أنها تصاعدت بشكلٍ كبير في الأشهر الماضية، وقد رسختها أذرع الاحتلال كواحدة من الإجراءات العقابية، التي تستهدف المناطق الفلسطينية ولمعاقبة عائلات منفذي العمليات الفردية، إلى جانب أنها أحد أسباب دفع المقدسيين للسكن خارج القدس، وهو ما سينعكس على الميزان الديموغرافي في القدس المحتلة.

علـــي إبراهيـــم

لا تقف محاولات حرمان المقدسيين من السكن عند الهدم فقط، إذ يسبقه حرمانٌ من رخص البناء في الأحياء الفلسطينية من المدينة، فلا تسمح بلدية الاحتلال للفلسطينيين بالبناء إلا في مساحات ضيقة للغاية، لا تتجاوز ٧% من مساحة القدس المحتلة، وعلى الرغم من هذه المساحة الضيقة، فإن بلدية الاحتلال لا توافق إلا على نحو ٢% من الرخص المقدمة في كامل القدس.

وإلى جانب النسبة الهامشية في المساحة والرخص، مقارنة بحجم حاجة المقدسيين إلى السكن، فإن بلدية الاحتلال تفرض شروطًا بالغة الصعوبة، وتوصف في غالبية الحالات بأنها «تعجيزيّة» لكي تصدر رخصة بناء، إذ يبلغ معدل كلفة رخصة البناء السكني ٣٠٠ دولار للمتر المربع الواحد، ومعدل الوقت الذي يتطلبه الترخيص إلى ٣ سنوات، ويصل متوسط تكلفة رخصة البناء في القدس المحتلة أكثر من ٧٠ ألف دولار أمريكي، وهو ما يدفع المقدسيين إلى البناء من دون الحصول على تراخيص، فتعمل أذرع الاحتلال على هدم هذه المنازل والمنشآت.

خسائر بالمليارات

نتيجة الحرمان من رخص البناء، تُشير تقديرات بلدية الاحتلال في القدس إلى أن عدد المباني المعرضة للهدم يصل إلى نحو ٢٠ ألف مبنى؛ أي أن جزءًا كبيرًا من المباني في المدينة المحتلة معرضٌ للهدم في أي وقت، وبحسب معطيات مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) هدمت سطات الاحتلال ما بين ١ يناير ٢٠٠٩ - ١٠ يونيو ٢٠٢٤م نحو ١٩٠٦ منازل ومنشآت في القدس المحتلة، وهذا ما أدى إلى تهجير نحو ٤٠٠٠ فلسطيني، وتضرر نحو ٤٥ ألفًا آخرين.

وفي سياق رصد أعداد المنشآت المهدمة منذ احتلال الشطر الشرقي من القدس المحتلة، يُشير إلى حجم هذا العدوان وآثاره، فبحسب مركز أبحاث الأراضي هدمت سلطات الاحتلال منذ عام ١٩٦٧ حتى نهاية سبتمبر ٢٠٢١م نحو ٧٤٤٠ منزلًا ومنشأة في الشطر الشرقي من القدس المحتلة.

وقد بلغت التكاليف الاقتصادية لهدم بيوت المقدسيين بحسب مصادر فلسطينية نحو ٩ مليارات دولار أمريكي؛ ما يجعل هذه الخسائر المالية الباهظة تُشكل عبئاً آخر يُضاف إلى الخسائر النفسية والجسدية، حيث يتم في الكثير من الحالات هدم المنزل من دون السماح للأسرة بإخراج مقتنياتها منه، إضافة إلى تعرض أفراد الأسرة للاعتداء الجسدي والاعتقال وغيره.

٤ أسباب للهدم

منذ احتلال الشطر الشرقي من القدس عام ١٩٦٧م، يمكن تقسيم أسباب هدم منازل الفلسطينيين إلى ٤ فئات أساسية، والطرق إلى طريقتين، أما الفئات فهي:

١- الهدم العسكري: حيث يقوم جيش الاحتلال بهدم منازل ومنشآت فلسطينية لدواعٍ عسكرية، كحماية جنوده والمستوطنات، ويُبرر الاحتلال هذا الهدم العسكري في إطار «أهدافٍ عسكرية قانونية».

٢- الهدم العقابي: هو إجراء عقابي تستهدف به قوات الاحتلال عوائل منفذي العمليات الفردية، في إطار فرض عقابٍ جماعي على هذه الأسر، وعادة ما تطال أضرار الهدم الشقق والمنازل المحيطة بالمنزل المستهدف، والسيارات المركونة في المنطقة، لتوسعة الإجراء العقابي قدر الإمكان.

٣- الهدم الإداري: هو الإجراء الأكثر انتشارًا، إذ يتم هدم جلّ المنازل الفلسطينية في القدس المحتلة، بذريعة البناء من دون ترخيص، وتكشف تفاصيل قرارات الهدم الإداري، أنه واحدٌ من أسهل القرارات اتخاذًا، فيمكن أن يصدر من قبل مهندسٍ في بلدية الاحتلال، ليتم تحويل البلاغ إلى رئيس البلدية ويتم التوقيع عليه، لتباشر الجهات المختصة الهدم، أو يجبر صاحب البيت على هدم بيته بنفسه.

٤- هدم غير معروف الأسباب: تقوم سلطات الاحتلال بهدم منازل الفلسطينيين من دون إبداء أي أسبابٍ واضحة، ولكنها بكل تأكيد تنضوي ضمن استخدام الهدم كواحدٍ من مرتكزات سياسة الاحتلال العقابية المفروضة على الفلسطينيين في القدس المحتلة.

أما عن طرق الهدم، فالهدم يتم إما من خلال آليات الاحتلال وجرافاته، كان المنفذ جيش الاحتلال أو بلديته في القدس، واللافت هنا، أن صاحب المنشأة المهدمة يتحمل تكاليف الهدم، التي تشمل في كثير من الأحيان أجرة الجرافات وتكاليف الحماية الأمنية من قبل جيش الاحتلال، وصولاً إلى كلفة اصطحاب الكلاب البوليسيّة؛ وهو ما يجعل التكاليف تصل إلى مئات آلاف الشيكلات.

أما الطريقة الثانية، فهي طريقة جديدة استحدثها الاحتلال منذ سنوات عدة، إذ يُجبِر الاحتلال المقدسيين على هدم بيوتهم بأنفسهم، بشكلٍ قسري، من خلال تهديدهم بفرض غرامات باهظة، وتكبيدهم تكاليف الهدم، ففي عام ٢٠٢٣م هُدمت ٩٥ منشأة من قبل أصحابها بشكلٍ قسريّ، وفي النصف الأول من عام ٢٠٢٤م هُدمت ٣٧ منشأة على يد أصحابها بضغطٍ من قبل سلطات الاحتلال.

وأخيراً، وبعيداً عن أرقام الهدم وأهدافه، فإن آثار الهدم لا تقف عند القضايا المحسوسة فقط، إذ تنعكس على حياة كل العائلة التي هُدم منزلها، وبخاصة النساء والأطفال، حيث يضاعف الهدم من حاجة المقدسيين إلى السكن، ويضطرهم إلى السكن في منازل صغيرة، وتضطر في كثيرٍ من الأحيان أكثر من عائلة على السكنى سويًا؛ ما يجعل المرأة المقدسية تفقد شعور الطمأنينة والخصوصية، وبحسب شهادات لنسوة فلسطينيات، فقد أفدن أنهنّ ينمن بثيابهن العادية بعد إخطار منازلهن بالهدم، خوفًا من اقتحام المنزل على حين غرة، ما يجعل المرأة في حالة من عدم الاستقرار النفسي.■

اليهود.. البداية والنهاية (9)

مملكـة على الـورق!

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــة إسلامـــي

حكى القرآن الكريم قصة حرب وقعت بين بني إسرائيل وعدوهم جالوت، أسفرت عن ظهور بطل جديد على الساحة القيادية، الذي استطاع أن يقتل جالوت المُهاب، وأن يحسم المعركة لصالح بني إسرائيل، لينال إعجاب طالوت؛ مما دعاه أن يشركه في المُلك بعدما رأى فيه بطولة المرحلة، وقيادة المستقبل، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ٢٥١).

ومنذ تلك اللحظة، أصبح داود خليفة في الأرض، وقائداً فذاً لبني إسرائيل، حيث جمع الله تعالى له بين المُلك والنبوّة، فأنزل عليه «الزبور»، وألان له الحديد، وسخَّر له الجبال والطير، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وجمع له بين الدين والدنيا والآخرة.

داود.. بين الإسلام واليهودية:

حفلت الشريعة الإسلامية بجملة من المناقب الرفيعة التي تليق بجناب النبي المَلك، فقد صورت الشريعة زمن داود بأنه العصر الذهبي لدولة بني إسرائيل، حيث تنعموا بالأمن والاستقرار، والعدل والإصلاح، بل أشار القرآن إلى التقدم الصناعي والازدهار الاقتصادي الذي وصل إليه بنو إسرائيل في ظل حكم نبي الله داود عليه السلام، حيث اكتشفوا الحديد واستعملوه في صناعة الأسلحة والآلات الحربية[1].

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: ١٧)، وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «كان داود أعبد البشر»، وفي الصحيحين: «أحب الصيام إلى الله صيام داود»، وفي رواية: «إنَّه كانَ أَعْبَدَ النَّاسِ»، «كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه»، وعند البخاري: «وَكان لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ».

أما الكتاب المقدس (المحرَّف)، فقد عرض صورة متناقضة لنبي الله داود لا تتفق أبداً مع عصمته كنبي يوحى إليه،

حيث يرى أن داود عاش بقلب منفتح نحو الله والناس منذ صبوته، في نقاوة وطهارة، مشتاقاً أن يخدم الله، وأن يبذل حياته من أجل الأمانة ورعاية الضعفاء، حتى في رعاية الخراف غير الناطقة، كان كذلك حتى صار ملكاً، فلما استقرت مملكته، وجاء بالتابوت إلى مدينته، بدأ يتهاون؛ فقد جاء في سفر «صموئيل الثاني» (٦: ١٦): «ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها».

ولم يكتف اليهود بوصف داود بالرقص الحقير، بل تعدى الأمر إلى ما هو أقبح من ذلك، حيث زعموا أنه انحدر من خطيئة إلى أخرى، وكان يظن أنه قادر على إخفاء هذه الخطايا لولا أن وحيهم قد سجل هذه السقطات في شيء من التفصيل! جاء في سفر «صموئيل الثاني» (١: ٥): «وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَقد حَبِلَتِ الْمَرْأَةُ منه، هكذا بكل وقاحة»[2].

كلام بشع تفوح منه رائحة الوضاعة! فحاشا لداود المكرَّم أن يصدر منه ذلك، وحاشا للوحي الإلهي المنزّه أن يسطر في أنواره مثل هذه النجاسات! لكن اليهود هم اليهود، وهذا ديدنهم في الافتراء والكذب، على الله ورسله ووحيه وعلى عباد الله المؤمنين.

اليهود متخصصون في الكذب:

الكذب من أقبح الصفات التي يتصف بها الناس، فهو عنوان الخسة والدناءة، وفساد الطوية وهو المطية لكل انحراف؛ لذا لا يتفق

زمن داود العصر الذهبي لدولة بني إسرائيل حيث تنعموا بالأمن والاستقرار والعدل والإصلاح

خصلة الكذب تعمّقت في اليهود وباؤوا بأدنى مراتبها وأبعدها فساداً وهو الكذب على الله

الإيمان مع الكذب أبداً، وقد تعمّقت هذه الخصلة في اليهود وباؤوا بأدنى مراتبها، وأبعدها فساداً: وهو الكذب على الله عز وجل الذي لا تخفى عليه خافية، قال الله تعالى عنهم: ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً﴾ (النساء: ٥٠)[3].

ومن استساغ الكذب على الله فلن يضيره أن يكذب على رسله وعلى الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟»، قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟»، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه! (رواه البخاري).

مملكة داود.. بين الحقيقة والوهم:

ينظر اليهود إلى نبي الله داود، وابنه سليمان، على أنهما أجداد للصهيونية المعاصرة، حيث حفلت التوراة بالحديث عن مملكة كبرى، في العصر الحديدي، قويَّة، وذات سيادة مستقلَّة، ومؤسِّسها داود، مثّلت هذه المملكة أعظم إمبراطوريّات المشرق العربي؛ فقد امتدت حدودها لتُغطّي كل بلاد الشام، ولم تقتصر على فلسطين، فحسب.

جاء في سفر «صموئيل الثاني»، وسفر «المُلوك الأول»، أنَّ المَلِك داود، أقامَ إمبراطورية، تمتدُ بين النيل، والفرات، أورثها لسليمان بعد وفاته، كما أشادت التوراة بعصر داود، وسليمان، باعتباره العصر الذهبي لـ«إسرائيل»، لما فيه من الإنجازات الصناعية، والثقافية، والعمرانية، والإدارية، والعسكرية.

وبناء على هذه النظرة المزعومة، فإن دولة «إسرائيل» الحديثة، ترجع مُطالبتها التاريخية، والطبيعية، إلى دولة العصر الحديدي تلك، فقد أشار إعلان الاستقلال لدولة «إسرائيل» الحديثة -الذي أصدره مجلس الأُمَّة المؤقَّت في «تل أبيب»، بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م- إلى «إعادة بناء الدولة اليهوديَّة»، وليس كما فهمه البعض على أنه مجرد إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين[4].

ولكن، هل كان بالفعل مملكة داودية سليمانية عظيمة، مترامية الأطراف، عاصمتها القدس كما جاء في نصوص التوراة؟ الجواب: لا؛ لأن الباحثين التوراتيين، وكذلك علماء الآثار، قد بحثوا عن دولة كبرى، في العصر الحديدي، قوية، وذات سيادة مستقلة، ومؤسِّسها داود، وتصوَّروا أن هذه المملكة قد وُجِدَت بالفعل لاعتمادهم على خطاب الدراسات التوراتية، إلا أنهم لم يتمكنوا من العثور ولو على أثر واحد يعود إلى تلك المرحلة، عُمرانياً كان، أم وثائقياً، أو نَقشياً، أو أي دليل يشير صراحة أو ضمنياً إلى وجود المملكة الداودية في فلسطين بهذه

اليهود ينظرون إلى نبي الله داود وابنه سليمان على أنهما أجداد للصهيونية المعاصرة

لا يوجد دليل يشير إلى وجود المملكة الداودية بفلسطين بالصفة المذكورة بالكتاب المقدس

عالم آثار «إسرائيلي»: لا يوجد أساس تاريخي بوجود المَلِك المحارِب الذي اتَّخذ القدس عاصمة له

الصفة المذكورة في الكتاب العبراني[٥].

وهذا الانعدام المريب في المصادر التاريخية والمخلَّفات الأثرية، التي تدعم مزاعم السجل التوراتي قد أدى في السنوات الأخيرة إلى تصدع فكرة الإجماع على وجود المملكة الداودية، يقول مِلَّر: إنه ليس هناك دليل على المملكة الداودية خارج التقاليد والموروثات الكتابيَّة التوراتية؛ أما عن المؤرِّخينَ، الذين يتحدَّثونَ عن وجود هذا الكيان، إنما يفترضونَ مُسبقاً، صِحَّة المعلومات التي يأخذونها، من التوراة[٦].

أما عالم الآثار «الإسرائيلي» إسرائيل فنكلشتاين، من جامعة «تل أبيب»، فقد شكَّكَ بوجود أي صِلَة لليهود بالقدس؛ وجاءَ ذلك خلال تقرير نشرته مجلة «جيروساليم ريبورت»، «الإسرائيلية»؛ توضِّح فيه وجهة نظر فنكلشتاين، الذي أكد أنه لا يوجد أساس، أو شاهد إثبات تاريخي على وجود هذا المَلِك المحارِب؛ الذي اتَّخذ القدس عاصمة له؛ والذي سيأتي «الميا» من صلبِهِ؛ للإشراف على بناء الهيكل الثالث؛ مؤكداً أن شخصية داود، كزعيم يحظى بتكريم كبير؛ لأنه وحَّد مملكتي «يهودا»، و«إسرائيل»، هو مجرَّد وهم، وخيال.

ويرى المؤرخ البريطاني كيث وايتلام أن وجود هذه المملكة غير قابل للتصديق إذ ليس هناك أي دليل أثري على وجودها[٨].

وهذا ما أكده د. محمد عمارة في قوله: إن فكرة الدولة لم تكن موجودة في التراث اليهودي، وأن الدولة اليهودية بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧م أتوا برجال الحفريات والآثار في محاولة من المدرسة الأثرية التوراتية لأن تصطنع واقعاً يحاكي ما جاء في العهد القديم، إلا أنهم فشلوا في أن يجدوا أثراً أو حجراً يدل على وجود هذه المملكة التي رسمها لهم الكتاب العبري.

أما مُلك سليمان الذي حكى عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥) لم يكن بمفهوم الدولة، وإنما هي مملكة إلهية منحها الله سليمان ليست على غرار الممالك المعروفة، فضلاً عن أن تكون متوافقة مع ملامح المملكة الداودية السليمانية الوارد ذكرها في التوراة[٨].

يقول العلَّامة توماس طُمسن: «جرى تقديم القرن العاشر ق.م بوصفه العصر الذهبي لـ«إسرائيل»، وعاصمتها في أورشليم، كانت تلك الحقبة مرتبطة بالمملكة المتحدة، التي تضم السلطة السياسية لشاول، وداود، وسليمان، وتسيطر على الجسر البري الضخم، من النيل إلى الفرات، إضافة إلى مفهومها عن الهيكل الذي بناه سليمان بوصفه مركزاً لعبادة يهوه، تلك الصور لا مكان لها في أوصاف الماضي التاريخي الحقيقي، إننا نعرفها فقط كقصة، ولا يتوافر دليل على وجود مملكة متحدة، ولا دليل على وجود عاصمة في أورشليم، أو وجود أي قوة سياسية مُوحَّدة متماسكة، هيمنت على فلسطين الغربية، ناهيك عن إمبراطورية، بالحجم الذي تصفه الحكايات الأسطورية[٩].

لقد نفى طُمسن أن تكون «أوروشليم» عاصمة للمَملكة الموحَّدة، كما نفى وجود داود بهذا المفهوم الوارد في الكتاب المقدس، حيث لم يتمكَّن الأثريّون، من العثور على دليل يشيُ صراحة، أو كناية، إلى مملكة داود في فلسطين رغم وجود ٣٠٠ موقع تقوم فيها البعثات الأثرية بأعمال الحفر هناك؛ مما يعني أن المملكة الداودية الكبرى ليست أكثر من اختراع توراتي، تنفيه كل الوقائع الأركيولوجية، والتاريخية، مما يثبت أنها مملكة على الورق.■

الهوامش

(١) الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي، بتصرف.
(٢) تفسير الكتاب المقدس، تادرس يعقوب.
(٣) موسوعة الدرر السنية، بتصرف.
(٤) مقال «كيف كذب علم الآثار مملكة داود القديمة»، أحمد الدبش، باختصار.
(٥) المرجع السابق، بتصرف.
(٦) المرجع السابق، بتصرف.
(٧) المرجع السابق، بتصرف.
(٨) محاضرة «فقه الصراع حول القدس»، محمد عمارة.
(٩) كتاب «الماضي الخرافي»، توماس طمسن، ترجمة عدنان حسن.

أولمبياد باريس 2024.. وانتكاس الفطرة!

سعد النشوان

عندما نظمت دولة قطر الشقيقة «كأس العالم ٢٠٢٢» خرجت علينا أصوات وقتها بالسماح لمنتكسي الفطرة الإنسانية بالدخول إلى قطر ورفع علمهم في المونديال، ولكن بفضل الله تعالى أولاً، ثم الوقفة الصلبة لسمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، حفظه الله، والشعب القطري الذين وقفوا وقفة رجل واحد ضد هذا الانتكاس الأرعن، وقد أبهرت قطر العالم بأسره بالتنظيم المذهل والمتميز وغير المسبوق حقيقة.

ثم خرجت علينا فرنسا بأعظم حدث رياضي في العالم؛ وهو «أولمبياد باريس ٢٠٢٤» بتنظيم انحدر من السيئ إلى الأسوأ في تاريخ المناسبات الرياضية، بل إنهم وبكل وقاحة تحدوا العالم أجمع بالافتتاح الذي مثَّل سيدنا عيسى عليه السلام براعي ما يسمى بالمثلية وعَلَمهم! وسط صمت مطبق من اللجنة الأولمبية الدولية، بل وصمت بابا الفاتيكان؛ ونحن كمسلمين، في الحقيقة، لا نستغرب فعلهم هذا، وإنما نستغرب من عدم استنكار الدول والمنظمات الإسلامية، وأقله تقديم احتجاج رسمي والانسحاب من هذا الأولمبياد، فعيسى عليه السلام نبي الله ورسوله، بل من أولي العزم من الرسل، ولا نرضى أن يمثَّل بهذه الطريقة المهينة.

لا أرى تفسيراً لهذه التصرفات إلا رسالة إلى الجيل المسلم الصاعد بقبول هذه الاستفزازات، وكذلك تريد فرنسا ومن يقوم بهذه الأعمال بأنهم موجودون وهم الأقوى؛ ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل: ٥٤).

إن حماية أجيالنا من هذه الأفعال المشينة توجب علينا الدعوة لاجتماع عاجل للجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي لاستنكار هذا الفعل الشنيع، وسحب كل الفرق العربية والإسلامية من هذا الأولمبياد المسخ؛ ﴿وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود: ١١٣)، فهؤلاء ظلموا أنفسهم وظلموا أنبياء الله تعالى وظلموا البشرية جمعاء.

ومحلياً أدعو اتحاد الجمعيات التعاونية رداً على هذه الإساءة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية والاعتماد على المنتجات العربية البديلة؛ غضبة لله ورسولـه سيدنا عيسـى ابن مريم عليه السلام.■

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (6)

إلغاء الحدود الجغرافية والانصهار في تكتل إسلامي

د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

نستكمل في هذا المقال توجهات مجموعة من المفكرين والدعاة وكذلك الحركات الإسلامية المعاصرة، في تقديم بعض الصيغ التي يرونها تناسب المرحلة التاريخية التي تمر بها الأمة بعد سقوط الخلافة، واستخلاص رؤاهم في شكل وصورة الخلافة المنتظرة التي سيجتمع تحت ظلها العالم الإسلامي.

إلغاء الحدود الجغرافية:

إذا رصدنا موقف ورؤية أكبر جماعة إسلامية في العصر الحديث؛ وهي جماعة الإخوان المسلمين، وإذا اعتبرنا الخطاب الفكري لمؤسسها الشهيد حسن البنا معبِّراً عنها، فإن موقفها واضح بإزاء وحدة المسلمين السياسية، فقد حددت «رسالة المؤتمر الخامس» هذا الموقف بوضوح، الداعي إلى المسارعة بإلغاء الحدود الجغرافية بين المسلمين، والعمل على تهيئة الظروف المحلية، من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة.

ومن البنود الواردة في هذه الرسالة -أي «رسالة المؤتمر الخامس»- نقرأ ما يلي: «إنّ الإسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، ويَعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده، إن الإخوان المسلمين يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوّة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كلّ شبر من أرض مسلم يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ويستتلي البنا، في رده على مَن لا يؤمنون برابطة الجامعة الإسلامية، ويقدمون عليها الرابطة القومية، قائلاً: «يقول بعض الناس: إن ذلك -أي الجامعة الإسلامية- يناقض تيار الفكرة السائدة في العالم، فكرة التعصب للأجناس والألوان، والعالم الآن تجرفه موجة القوميات الجنسية، فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس؟ وجواب ذلك أن الناس يُخطئون، وأن نتائج خطئهم في ذلك ظاهرة ملموسة في إقلاق راحة الأمم وتعذيب ضمائر الشعوب مما لا يحتاج إلى برهان، وليست مهمة الطبيب أن يجاري المرضى، ولكن أن يعالجهم، وأن يهديهم سواء السبيل، وتلك مهمة الإسلام ومَن وصل دعوته بالإسلام».

ولا يكتفي البنا بهذا الموقف الواضح الجلي، بل يواصل الرد الهادف إلى الإقناع بوحدة الأمة وتقديم جامعتها على أي رابطة أخرى، فيقول: «ويقول آخرون: إن ذلك غير ممكن، والعمل له عبث لا طائل تحته، ومجهود لا فائدة منه، وخيرٌ للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم، ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم، والجواب على هذا أن هذه لغة الضَّعف والاستكانة، فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبلُ متخالفة في كلّ شيء، في الدين واللغة، والمشاعر والآمال والآلام، فوحّدها الإسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء، وما زال الإسلام كما هو بحدوده وبرسومه، فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة إليه وتجديده في نفوس المسلمين، فإنه يجمع هذه الأمم جميعاً من جديد، كما جمعها من قديم، والإعادة أهون من الابتداء، والتجربة أصدق دليل على الإمكان»[1].

الانصهار في تكتل إسلامي:

ولقد سبق للشهيد سيد قطب التنبيه والدعوة إلى ضرورة تكتل العالم الإسلامي على أساس أيديولوجي واضح المعالم، يتمثل في الهُوية والمرجعية الإسلاميه، على اعتبار أن الوطن الإسلامي واحد، وأن تشتيته أو تقسيمه إلى أقطار كبيرة وأخرى صغيرة أمر لا يجد مبرراته المنطقية، لا في معايير أشواق وآمال الشعوب الإسلامية، ولا في معايير الجغرافيا السياسية ذاتها.

إن سيد قطب يؤمن إيماناً جازماً بأن السبيل الوحيد الذي يليق بالأمة الإسلامية ويشرّف دينها وقيمها هو العمل من أجل الانصهار في تكتل إسلامي، يفعّل كلَّ عناصر القوة والتضامن في المنهج الإسلامي، فهذا التكتل هو وحده الذي يضمن البقاء كما يضمن الكرامة للمسلمين في العالم المعاصر، فضلاً عن كونه طريقاً للخلاص الحقيقي من الاستعمار وأذنابه وأوضاعه.

ثم إن هذا التكتل الإسلامي إنما يُعدّ ضرورة إستراتيجية قصوى بالنسبة للأمة الإسلامية والعالم الإسلامي، من أجل معاودة الدور والوقوف في وجه التيارات المختلفة التي تدأب دون كلل أو ملل في سبيل إبقاء العالم الإسلامي ملحقاً وتابعاً للقوى العالمية المتصارعة من أجل مصالحها المتناقضة[2].

ثم يبين قطب من منطلق حرصه على تأسيس هذا المشروع الحيوي بالنسبة للأمة الإسلامية ومصالحها العليا، على أسس سليمة متساوقة وتعاليم الإسلام ومقاصده الجامعة، بأن التكتل الإسلامي المنشود «لا يعني التعصب في أي معنى من معانيه.. إن الإسلام هو الضمانة الوحيدة في هذا العالم لوقف حركة التعصب ضد المخالفين له في العقيدة، فهو وحده الذي يعترف بحرية العقيدة ويرعاها في عالم الواقع لا في عالم النصوص، وهو وحده الذي يمكنه أن يضمن السلام للبشرية كلها في ظلاله، سواء مَن يعتنقونه

البنا: إلغاء الحدود الجغرافية بين المسلمين والعمل على تهيئة الظروف المحلية لتحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة

قطب: السبيل الذي يليق بالأمة الانصهار في تكتل إسلامي يفعّل كلَّ عناصر القوة في المنهج الإسلامي

د. عمارة: الخلافة الإسلامية ليست دولة دينية تلغي سلطة الأمة وإنما دولة مدنية تختارها الأمة وتفوّضها

أو مَن لا يعتنقونه، إنه النظام العالمي الوحيد الذي تستطيع جميع الأجناس وجميع العقائد أن تعيش في ظله في أمن وسلام»[3].

ولعلّ هذا البعد الذي يشير إليه قطب من الأهميّة بمكان، فإن وحدة المسلمين وجامعتهم السياسية لا يقتصر مردودها من الخيرية على الأمة الإسلامية وحدها، بل ينبغي أن ينعكس خيرها على المجموعة البشرية كافة، أمناً وسلاماً وتواصلاً وضماناً لرعاية الإنسان وحقوقه، فإن هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس، من منطلق تمثيلها لرسالة الوحي الخاتم، وحرصها الممدود المتماهي مع دوائر الزمان والمكان، من أجل هداية الناس وتبصيرهم بحقيقة قيم الاستخلاف عن الله في الأرض.

«عولمة» العالم الإسلامي:

كما نجد أيضاً قطباً من أقطاب الخطاب الإسلامي المعاصر، شديد الوفاء والحماس لإحياء نظام الخلافة، هو المفكر د. محمد عمارة، حيث قدّم كتابات كثيرة متنوعة في هذا المجال، وموقفه هذا لا تشوبه شائبة من أثر الصورة التاريخية للخلافة الإسلامية، وإنما لكونه نظاماً متميزاً عن كلّ الأنظمة التي عُرفت في تاريخ البشرية.

إذ إن الخلافة الإسلامية في نظره «ليست دولة دينية، تلغي سلطة الأمة، وإنما هي دولة مدنية، تختارها الأمة، وتفوّضها، وتراقبها، وتحاسبها، وتعزلها عند الاقتضاء، فالخلافة تضع سلطة الأمة في إطار سيادة الشريعة الإلهية، فتكون الأمة فيها مصدر السلطات، بشرط ألا تجاوز سلطات الأمة فيها حدود الحلال والحرام التي تقررت في شريعة الله؛ لأن الإنسان في الرؤية الإسلامية الكونية خليفة لله، ونائب، ووكيل، وليس سيد الكون، وإنما هو سيد فيه»[4].

ولا يمثل هذا المفهوم لطبيعة الدولة أو السلطة التي ينبغي أن يكون عليها نظام الخلافة الإسلامية، الحيثية الوحيدة، التي تجعل د. عمارة من المتحمسين لقيام وتجديد هذا الإطار السياسي؛ بل هنالك أيضاً حيثية أخرى هي قضية «العولمة»، التي تحاول الكثير من دوائر البحث والرصد الفكري الغربية فرض مفهومها على المرجعيات الحضارية الأخرى التي تتمايز عنها في المسار والمنطلقات والرؤية الكونية.

حيث يجد أنموذج نظام الخلافة سنداً ملائماً، يمكن أن يتحقق من خلاله مفهوم إسلامي للعولمة، فإذا كان الناس اليوم يتحدثون عن العولمة التي حوَّلت العالم كله إلى قرية صغيرة، ويرون في ذلك حقيقة لا حلماً أو خيالاً؛ «فهل نكون خياليين وواهمين إذا نحن فكرنا وخططنا لعولمة العالم الإسلامي؟ وما الخلافة الإسلامية إلا عولمة لهذا العالم الإسلامي، كي يكون قادراً على التعامل مع ضغوطات واجتياحات العولمة الغربية!

كذلك، فإن الكثيرين يبررون بالعولمة نقص سيادة الدول المعاصرة على أراضيها، فهل نتجاوز الحدود والمنطق المعقول إذا نحن دعونا إلى تكامل عربي إسلامي؟ إذا انتقص من سيادة دولنا القُطرية على أراضيها الوطنية، فإن هذا الانتقاص سيعود -بالتكامل العربي الإسلامي- مزيداً من العزة والمنعة والسيادة للأمة الإسلامية ولدار الإسلام»[5].■

الهوامش

(١) حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس، ضمن رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الشهاب للنشر، باتنة، د ت، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، ط٤، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٤) محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ م، ص ٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٩.

المدرِّب المتألِّق (7)

سمات جاذبة.. التشجيع والإيجابية

د. موسى المزيدي

مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

نستكمل في هذا المقال عرض السمات المساندة للمدرِّب المتألِّق التي تعينه على جذب المتدربين إليه والاستفادة القصوى من الدورة التدريبية.

٩- الثناء والتشجيع:

من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرِّب الذي يثني على أفكارهم ويشجعهم على المشاركة.

مثال على ذلك: في إحدى الدورات التدريبية لجمعية المعلمين الكويتية، وجهت سؤالاً للمتدربين حول حرص المدرب على احترام المتدربين له، وحبهم له، فقلت: أيهما أولى؛ حرص المدرب على احترام المتدربين له، أم حبهم له؟

أجاب أحدهم قائلاً: لا احترام بلا حب أولاً.. لكن، هذه الإجابة تخالف آراء كثيرة لعلماء في الإدارة، حيث يقولون: إن ما يحرص عليه المدرب هو الاحترام أولاً، وقد يأتي حب المتدربين له لاحقاً، وقد لا يأتي.

هنا، لم أقل للمتدرب: إجابتك خاطئة، بل قلت: لعل هناك من يؤيدك في هذا الرأي، وهناك من يرى أن الاحترام يسبق الحب، وأنتم أيها السادة، ما رأيكم؟

هذه إحدى وسائل تشجيع الحوار بين المتدربين، والثناء على آرائهم.

مثال آخر: في دورة لمركز التدريب البترولي بعنوان «سد الثغرة بين الأجيال المتعددة في بيئة العمل»، وجهت سؤالاً حول نسبة الثقة المتبادلة بين المتدربين ومسؤوليهم في بيئة العمل، ومن أجل جعل الحوار ممتعاً، كتبت النسبة العالمية على ظهر اللوح الورقي في قاعة التدريب دون أن يراه أحد، وكانت النسبة ٧١٪، ثم طلبت من كل متدرب أن يكتب النسبة الخاصة به على ورقة، ويحيطها بدائرة؛ كي لا يفكر بتغيير إجابته، ولا يتأثر بإجابات زملائه.

وقمت بجمع الإجابات، واستخرجت منها المتوسط الحسابي؛ فكانت ٧١,٥٪، وكم كانت مفاجأة الجمع، حينما كشفت لهم عما كتبته على ظهر اللوح الورقي، إذ كانت النسبة مقاربة لنسبتهم! بعد ذلك فتحت باب النقاش للتعرف إلى أصحاب النسب العالية وسبب علوها، وأصحاب النسب المتدنية وسبب دنوها.

نخلص من ذلك، أن مثل هذه النقاشات تؤكد للمتدربين أهمية علو الثقة المتبادلة بين الأفراد ومسؤوليهم، وأثر ذلك في ارتفاع مستوى الأداء لديهم؛ فعلى المدرب المتألق أن يحرص على علو نسبة الثقة المتبادلة بينه وبين المتدربين.

١٠- التفاؤل والإيجابية:

كذلك من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب المتفائل ذا التفكير الإيجابي، الذي يستعمل الكلمات الإيجابية، التي ترسم صوراً زاهية في أذهانهم.

فإذا قال المدرب كلمة طيبة، مثل كلمة «شجرة»؛ فإن المتدرب يرى صورة شجرة في ذهنه، ولا يرى الأحرف التي تتألف منها كلمة شجرة؛ حيث لا يرى حرف الشين، ولا الجيم، ولا التاء المربوطة؛ لذلك على المدرب المتألق أن يختار الكلمات الإيجابية في دوراته التدريبية؛ كي ترسم صوراً إيجابية في أذهانهم.

ففي إحدى الدورات، قلت للمتدربين: لا أريد منكم أن تتخيلوا صورة وردة حمراء في أذهانكم، ثم سألتهم: ماذا ترون في مخيلتكم؟ فقالوا كلهم: نرى صورة وردة حمراء! إذن، الكلمات ترسم صوراً في أذهان المتدربين رغم أنوفهم!

والتمرين التالي يساعد المدرب على انتقاء الكلمات الإيجابية، فقل للمتدربين الكلمات الإيجابية التالية، ولا تقل خلافها:

– قل: اطمئن، ولا تقل: لا تقلق.

– قل: أجر وعافية، ولا تقل: «ما تشوف شر».

– قل: يبدو أن الأمر سهلاً، ولا تقل: من الصعوبة بمكان.

– قل: نحاول تنفيذ الأمر، ولا تقل: هذا الأمر مستحيل.

– قل: إن الأمر فيه سعة، ولا تقل: لقد ضاقت السبل.

– قل: إن رسوم هذه الدورة استثمار في نجاحك، ولا تقل: رسوم هذه الدورة عالية.

– قل: إجراءات القبول في هذه الدورة ميسرة، ولا تقل: إجراءات القبول طويلة.

– قل: قد يسعفني الوقت، ولا تقل: قد يداهمني الوقت.

– قل: مادة هذه الدورة ميسرة، ولا تقل: قد يجد بعضكم صعوبة في فهم هذه الدورة.

– قل: اتباعك لإرشادات هذه الدورة مفيد، ولا تقل: احذر من مخالفة لوائح هذه الدورة.

– قل: إدخال المرح في الدورة هدفنا، ولا تقل: الدورة جادة، واحذر من الملل!

– قل: عليك بالسكينة والتأني، ولا تقل: لا تستعجل.

– قل: أبشروا، الهواء في هذه القاعة منعش، ولا تقل: قد تأتينا روائح نتنة من الخارج.

– قل: حضورك مبكراً يسعدني، ولا تقل: لا تتأخر عن موعد الدورة فإنه يؤلمني.

– قل: هناك حل يرضيك، ولا تقل: هناك مشكلة تؤذيك.

– قل: توقيعك هنا وسام على صدري، ولا تقل: وقع هنا حتى لا تحسب غائباً.

– قل: وجودك معنا يسعدني، ولا تقل: غيابك يؤلمني.

– قل: لتكن ضمن هذا الفريق، ولا تقل: لا تكن وحيداً.

المتدربون يحبون المدرِّب الذي يثني على أفكارهم ويشجعهم على المشاركة

.. والمتفائل الذي يستعمل الكلمات الإيجابية التي ترسم صوراً زاهية بأذهانهم

وإليكم هذا المثال: في إحدى الدورات لشركة مستشفيات الضمان الصحية، وكانت الدورة بعنوان «التميز في خدمة العملاء»، طلبت من المتدربين سرد عبارات في كيفية مخاطبة المرضى؛ سواء عبر مركز الاتصالات التابع للشركة، أو أثناء استقبالهم، أو أثناء زيارة المرضات والأطباء لهم، أو أثناء تلقيهم للعلاج، أو أثناء تسريحهم من المستشفى، أو أثناء متابعة أحوالهم بعد أن يمن الله تعالى عليهم بالصحة والعافية.

فجاءت الإجابات كما يلي:

– حياك الله، معاك مستشفى ضمان، أرجو أن يكون يومك سعيداً، كيف يمكنني أن أخدمك.

– اطمئن، إجراءات الدخول للمستشفى ميسرة، ونحن نسعد بوجودك معنا.

– اتباعك للإرشادات الصحية مفيد، وحضورك إلينا مبكراً يسعدنا.

– توقيعك على هذه الورقة وسام لنا، وسوف نتذكرك دائماً بالخير.

– سوف تجد ما يرضيك في مشفانا؛ من تميز في الخدمة، وطعام صحي، وهواء منعش، ونظافة ذات جودة عالية.

– سوف تجد من يساعدك على إجراءات الخروج من المستشفى.

– سوف تجد من يتصل بك، ويتابع ظروفك الصحية.

– السكينة والتأني في التشخيص شعارنا.

– رسوم العلاج تجلب لك الصحة والعافية بإذن الله تعالى.

– خبرات أطبائنا فخر لنا، والجهاز الطبي المساند لهم وسام على صدورنا.

وعلى هذا الأساس، إذا أراد المدرب المتألق أن يكون ناجحاً فعليه أن يكون إيجابياً، ويتجنب استعمال الكلمات السلبية.■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (7)

الاستثمار الأمثل!

د. محمد البربري
داعية إسلامي

لا يمكن للمرء أن يصل إلى منابع الحكمة والفطنة ما لم يعالج صوارف الأيام، ويغالب نوازل الأعوام، والمواقف والأحداث في حياة الكبار تمثل مخزوناً ثرياً وموروداً متدفقاً من التجارب والخبرات والحكم والعظات؛ لذا كانت التربية بالأحداث من أهم جوانب التربية وركائزها الأساسية، ومفادها أنه ربما وقعت واقعة أو حدث موقف للإنسان في حياته ويمكن استثمارها في توجيه تربوي؛ كتعديل سلوك أو تصويب خطأ أو غرس فضيلة، وهذا المسلك يرسخ في الذهن رسوخاً، ويغرس في القلب كثيراً من المعاني الإيمانية غرساً عميقاً.

إن النفس البشرية مجبولة على حب القدوة، والسعي إلى الكمال والتأسي بمن ترى أنه أكمل منها وأفضل، وكل إنسان في شأن ما يهواه يقتدي بمن يرى فيه الخير، ونحن في زمن فقدنا فيه القدوات، وضيعنا فيه الأسوات، فمن المفارقات العجيبة أن نرى سفلة الناس ومنحطي الأخلاق هم القدوة وأفعالهم

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

هي الأسوة! فكم من فئة كبيرة في المجتمع قدوتها لاعب أو فنان أو مطرب أو رجل فاجر! فأصبحت الأمة في ضياع حتى في قدوتها!

دعونا نخاطب الذاكرة، ونتذكر الأيام الخوالي أيام مجدنا الزاهر، لنقف مع سيرة رجل كان للوفاء آية، وللصدق عنواناً، وللعدل منبراً.

ومن هذه الثمار اليانعة، نما وترعرع الإمام الحافظ العلاَّمة المجتهد الزاهد العابد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان القرشي الأموي

أشج بني أمية، أما أمه فهي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

ولد عام ٦٣هـ، وكان ثقة مأموناً له فقه وعلم وورع[1]، وأكرم به من وعاء أسري ومحضن تربوي! احتضن هذه النبتة الكريمة وتعهدها بالتوجيه والتهذيب حتى أينعت وأثمرت أطيب الثمر، وحُق له، فهو سليل بيت الفضائل، ونتاج أشجار العدل وكريم الشمائل، ويكفي أن يكون في أعلى العلم فاروق الأمة رضي الله عنه، وصدق أرحم الراحمين: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨).

بدت عليه مخايل النجابة والذكاء مبكراً، ورزق حب العلم وحفظ القرآن الكريم ومجالسة العلماء والزهاد وهو غض الإهاب.

بين التقويم والتحطيم

أورد الإمام الذهبي في سيرته هذا الموقف الرائع أنه «بعث به أبوه إلى المدينة ليتأدب بها، وكتب إلى أستاذه صالح بن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يوماً عن الصلاة فقال: ما حبسك؟! قال: كانت مُرَجِّلتي تسكن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده فبعث عبدالعزيز رسولاً إليه فما كلمه حتى حلق شعره»[2]، فماذا في هذا الموقف من دروس تربوية؟

الوالد اليقظ يعلم أن ما يغرسه في ولده صغيراً سيجني ثمرته كبيراً

لا بد من توافق العلاقة بين المعلم والوالد من أجل إنضاج الثمرة

غرس الفضائل ومقت الرذائل ينبوع يتفجر من المحيط الأسري أولاً

أولاً: المظهرية الجوفاء داء عضال وسم زعاف نشب بأظفاره في شتى البقاع، حيث تحرى الكثيرون النقوش وغفلوا عن إصلاح النفوس، فكم من أوقات ضيعت بسبب إصلاح القشر والإهاب والغفلة عن الجوهر واللباب! إن الوالد اليقظ يعلم أن ما يغرسه في ولده صغيراً سيجني ثمرته كبيراً، فامتشق الحسام قبل بدء الكلام فحلق رأسه أولاً، والذي سينبت مع كر الجديدين، وعاقبه أشد العقوبة؛ لأنه يعلم أن من أمن العقوبة أساء الأدب، والمعلوم أن أسلوب الثواب والعقاب من الأساليب التربوية الناجحة، والمقصود منهما التقويم لا التحطيم، تقويم الولد ليتقدم إلى الأمام، لا تحطيمه حتى يتأخر عن قيادة الزمام.

ثانياً: الدرس الأقوى والأبقى ودائماً الله أولاً، فإن نداء الله قبل أي نداء، فهو لا يؤخَّر ولا يؤجَّل؛ «قم إلى الصلاة متى سمعت النداء»، ولقد أصبح ذلك في حياته شرعة ومنهاجاً، حتى إنه لما حج أبوه ومر بالمدينة سأل صالح بن كيسان عن ابنه فقال: «ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام»[3].

لقد كان الله أولاً في عدله بين الرعية، وفي عطفه على الأرامل واليتامى، وحتى حين وصيته لأولاده عند موته كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: علاقة المعلم بالوالد علاقة توافق واتساق، فلا بد من التكاتف والحب من أجل إنضاج هذه الثمرة المباركة، تعاهده وألزمه الصلوات، والولد يعرف حقائق الأشياء بعين أستاذه لأنه القدوة في الحسن والقبيح، وعد معي قليلاً إلى الوراء يوم أن كان التعليم رسالة وغاية، ثم أصبح وسيلة لأهداف قريبة وليس غاية لأهداف بعيدة.

رابعاً: غرس الفضائل ومقت الرذائل ينبوع دفاق يتفجر من المحيط الأسري أولاً، وكم في الأسر من مفارقات عجيبة! إذ كيف تأمر ولدك بالصدق وأنت كذاب؟! وكيف تأمره بالأمانة وأنت خائن؟! وكيف تأمره بمراقبة الله تعالى وأنت تنتهك محارمه؟! إن هذه كأحلام الخيال التي سرعان ما تذوب تحت شمس الواقع، أما عمر بن عبدالعزيز فقد شب مع الفضائل حتى استوى على سوقة فقال: «والله ما كذبت منذ أن علمت أن الكذب يضر أهله»[4].

وصدق فيما قال، فإن الكذب سراب يقرب البعيد ويبعد القريب، وهو الدليل الواضح والبرهان البين على خسة النفس ودناءتها وفساد دينها ودنياها.

ألا ما أحوج الأبناء والآباء إلى معايشة مثل هذه المناقب من خلال سيرة سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين.■

الهوامش

(١) السير (٥/ ١٤).
(٢) المرجع السابق (٥/ ١١٦).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٦٨٢).
(٤) السير (٥/ ١٢١).

معضلة الزواج من أجنبية

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أخي الكريم يحيى، السلام عليكم، أسرد لكم مأساة صديق العمر، فقد جمعت الحياة بيننا منذ الطفولة سواء الجيرة أو مراحل الدراسة، ولكنني تزوجت قبله لارتباطي بابنة عمي، فكرنا في الهجرة وسافر هو أولاً لعدم ارتباطه بأسرة، وقد وفقه الله تعالى لعمل مناسب بعد فترة معاناة قاسية، وتمكن من إيجاد فرصة عمل لي بالشركة التي يعمل بها، وجهّز لي ولأسرتي مكان إقامة قريباً منه.

رغم أن صديقي كان محافظاً على الصلاة، فإنني لاحظت أن رئيسة القسم الذي يعمل به تتعامل معه بأسلوب فيه تجاوز شرعي! ووجدت أنه من واجب حق الأخوة التي بيننا أن ألفت نظره إلى خطورة ذلك، خاصة أنه بصفة عامة شاب وسلوكه فيه بعض من عدم الالتزام بالشرع، علل صديقي ذلك بأن هذه عاداتهم، وعلينا أن نجاريهم، وطمأنني أن الأمر لا يتعدى مجرد علاقات عمل.

بعد حوالي شهرين فوجئت به يطلب مني أن نلتقي مساء لمناقشة أمر مهم،

وصعقت حيث بادرني:

لقد نَمت علاقتي بمارجريت، ولكنني أفهمتها أنه لا يمكن أن يكون بيننا علاقة إلا علاقة زوجية، فعرضت عليَّ الزواج، ولم أدر إلا وأنا قد وافقت!

فقلت: ولكنها غير مسلمة!

قال: نعم إنها مسيحية، وكما تعلم أن الله قد أحل لنا الزواج من أهل الكتاب، واشترطتُ عليها الإسلام وقبلت من حيث المبدأ، ووعدتني أن تُسلم!

قلت: ولكن ثقافتها ونشأتها وعادتها وقيمها..

قال: سأضبط كل ذلك.

قلت: ولماذا تغامر؟

قال: كما تعلم، بحثت عن فتاة مسلمة، وكلمت شيخ المسجد الذي اعتذر لعدم معرفته بالإخوة الذين لديهم بنات في سن الزواج! كما أن الفتاة التي رشَّحتها لي زوجتك، بالغ أهلها في طلباتهم المادية! بصراحة أصبحت أخاف على نفسي! وأصدقك القول: لقد أحببت مارجريت! هنَّأته وتمنيت له التوفيق.

تزوج صديقي، وبعد حوالي شهرين أعلنت مارجريت إسلامها، ولم ألاحظ أي تغيير في لباس أو سلوك زوجته؛ لذا فلم نلتق بهما إلا مرة واحدة، بدأت المشكلات بينهما بسبب طبيعة ونمط الحياة التي كان يعيشها كل منهما، فمارجريت مثل غالبية

الشباب هنا استقلت بحياتها عن والدتها بعد السادسة عشرة، ولا تعلم من والدها ولا تعرف معنى الأسرة، حاول صديقي أن يعيش نمط الأسرة الشرقي التقليدي! وكأنه «سي السيد» -الذي لا علاقة له بالدين- وأفهمها أن الإسلام يعطي القوامة للرجل وعليها أن تطيعه، ومن حقه أن يضربها!

كما أن صديقي لم يعد مواظباً على الصلاة في المسجد، وبدأ يبتعد رويداً عن صحبة إخوانه، وبدلاً من أن يجذب مارجريت للمجتمع الإسلامي انجذب هو لمجتمعها، تدخلنا أنا وزوجتي عدة مرات للتوفيق بينهما، حاولت أن أوضح لصديقي أن يتعامل معها بالحسنى واللين، خاصة أنها حملت في توأم! استمرت الحياة بينهما بين شد وجذب، تصاعدت الخلافات بينهما، واستدعت الشرطة واتهمته بأنه حاول اغتصابها! وتم احتجازه عدة أيام، تدخلنا حتى تنازلت عن الاتهام؛ فوافقت بشرط أن يعيش كل منهما في غرفة مستقلة! وافق طبعاً صديقي، ونصحته أن يحسن عشرتها لأنها ستكون أم أولاده.

للأسف، تجربة الاحتجاز أثَّرت سلباً على صديقي، وأصبح خائفاً منها، رزقهما الله بمحمد، وراشيل! نعم لقد اتفقا على أن كلاً منهما يسمي أحد المولودين، خاصة أنها لم تعد تصلي، وأنها تحتسي الخمر.

مر عام على هذا الوضع، حتى أبلغته أنها قررت الانتقال للعيش مع صديق لها، وأنها مستعدة للتنازل له عن حضانة ابنهما وابنتهما مقابل أن يقضيا معها يوماً كل شهر، علل صديقي قبوله هذا الوضع -غير الشرعي- بأن إجراءات الطلاق تستغرق على الأقل ٣ سنوات، ويكون الأولاد معها، ورغم تنازلها عن قضية اغتصابها، فإنها في سجله، فيمكنها منعه من رؤية الأولاد، وتستحق على الأقل نصف راتبه وبعد الحكم بالطلاق وتستحوذ على نصف ثروته! الكارثة أن ولديهما كل أسبوع يذهب بهما إلى بيتها التي تعيش فيه وصديقها ويتركهما معها يوماً كاملاً!

في بداية أزمته وبحق ما بيننا من أخوّة استضفنا ولديه، ولكنني اعتذرت له عن استدامة ذلك الوضع، اضطر إلى أخذ إجازة لرعاية ولديه، ولكنه اضطر إلى التفرغ لهما والاعتماد على الإعانة الاجتماعية ومدخراته، قابلني مرة بالمسجد الذي لم يعد يحضر إليه إلا نادراً وأخبرني أنه يتعالج من اكتئاب مزمن وطلب مني المشورة، فوعدته أن أكتب إليكم عسى أن نجد لديكم حلاً.

التحليل:

١- الزواج من الكتابيات:

- يقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)، فالكتابية التي يحل للمسلم زواجها هي من تشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وإلا فهي كافرة يحرم نكاحها.

- إن مفهوم الأسرة من زوج وزوجة وأولاد قد تم تدميره إلا ما ندر، فالإباحية الجنسية تبدأ في المرحلة الابتدائية، ويتعلم الطفل أن الأسرة قد تكون بين متماثلين، وعادة ما يترك الأولاد البيت عند السادسة عشرة ويستقل بحياته أياً كانت، فلماذا الزواج والأسرة والالتزام؟ تؤثر هذه النشأة على قيم ونفسية الإنسان الغربي فتطمس فطرته، إلا أن يهديه الله للإسلام فينفض عنه غبار وانحطاط مستنقع الرذيلة؛ لذا كثيراً ما نرى المسلمين الجدد يبكون بحرقة قد لا يعلم كنهها إلا من ذاق طعم الهداية بعد ضلالة.

- نعم يحل الزواج من الكتابية التي تشهد بوحدانية الله وعبودية الرسول صلوات الله عليهم جميعاً، ولكن شتان بين من تربت في أسرة بين أب وأم، ومن تربت في الشارع لا تعرف لها أباً.

- إن كثيراً من الفتيات المسلمات بلغن الأربعين، ولم يتقدم لهن أزواج مناسبون، فالزواج من الكتابية المحصنة يكون على حساب عنوسة فتاة مسلمة.

٢- الدين كله وحدة واحدة عبادات وأخلاق ومعاملات:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ (النور: ٢١).

- إن الشيطان لا يأمر المسلم مباشرة بالكبيرة، ولكنه ييسر له التخفف من القليل من الالتزام، ويوهمه أنه محافظ، بل ومتمسك بالجوهر، فلا حرج أن يبتسم لهذه أو يتطرق بالحديث في الجوانب الشخصية مع تلك، وأن هذا من متطلبات طبيعة العمل.

- الخطوة تتبعها خطوات، بل زلات، إلى أن يعتاد المنكر ويألفه، الخطورة ليست في انحرافه فقط، بل في الصورة الذهنية التي أعطاها لمجتمع المهجر غير المسلم ليس عنه، بل عن المسلمين والإسلام، الطامة إن كان يؤدي بعض العبادات وبه تفلت أخلاقي! تكون الصورة الذهنية عن الإسلام لدى المجتمع الغربي مهزوزة ومشوهة؛ هل الإسلام بسمح بذلك؟ أم أن الإسلام لا يرسخ في يقين المسلمين فيأتون بما يتعارض معه؟!

- إن التخفف من عدم الالتزام بضوابط الشرع الحنيف قد أورد صديقك هذا الشقاء الذي يعانيه.

الكتابية التي يحل للمسلم زواجها هي من تشهد أن عيسى عبدُ اللهِ ورسوله وإلا فهي كافرة يحرم نكاحها

المسلم الذي يتزوج كتابية أو مسلمة حديثة في رقبته أمانة عظيمة عبادةً وخُلقاً ومعاملةً

نوصي المتزوجين حديثاً بالتريث وتأجيل الحمل حوالي سنة إلى أن يتعرف كل منهما على شريكه

المسجد ليس فقط لأداء الصلاة بل رعاية المجتمع المسلم وهي مسؤولية الإمام وكل رواده

٣- مسؤولية وأمانة الزواج من الكتابيات والمسلمات الجدد:

- إن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، إن الإنسان يصبح مسلماً بنطق الشهادة، وهي محصلة اليقين بوحدانية الله الخالق وعبودية رسله ورسالاتهم، ثم يبدأ بتعلم ما هو معلوم من الدين بالضرورة من عبادات وضوابط سلوكية.

- إن المسلم الذي يتزوج كتابية أو مسلمة حديثة في رقبته أمانة عظيمة تقتضي منه أن يكون نموذجاً سواء في التزامه بالشرع عبادة وخلقاً ومعاملة، بحيث يبهرها بحسن خلقه لأنها مهما قرأت عن عظمة الإسلام فالأهم والأكثر تأثيراً عليها هو أخلاقه معها بصفة خاصة، وباقي سلوكياته في الحياة بصفة عامة، كم من المآسي حدثت وارتدّت المسلمة بعد أن حسن إسلامها؛ لأن زوجها فتنها في دينها وكشفت زيفه من سوء خلقه معها.

- الله تعالى أعلم بالقلوب، ولكنّ واضح أن هذا الزوج لم يهتم بتعريف زوجته على الإسلام حتى يرسخ في عقيدتها ويؤثر في سلوكها.

- كان نموذجاً سيئاً للمسلم سواء في عبادته أو في خلقه معها، فلم يفهم معنى القوامة ولا طاعة الزوجة لزوجها ومتطلباتها وشروطها، فنفّر زوجته حديثة العهد بالإسلام -إن كانت قد أسلمت حقاً- بل فتنها في الإسلام.

٤- الأولاد:

- عادة ما نوصي المتزوجين حديثاً بالتريث وتأجيل الحمل حوالي سنة إلى أن يتعرف كل منهما على شريكه في حياتهما الزوجية الجديدة، وقد اطمأن واستقر مع زوجه؛ لأنه مهما قيّم ودرس كل منهما الآخر خلال فترة ما قبل البناء سيكتشف جديداً بعد البناء، للأسف قد يحدث الخلاف أو ينكشف ما كان مستوراً وينفصلان وتعود المطلقة وهي حامل لبيت العائلة، ويولد طفل محروم من دفء والديه.

- رغم قصوره في الاهتمام بإسلام زوجته، وتقديمه نموذجاً منفّراً وعدم قدرته في جذب زوجته للمنظومة الأخلاقية الإسلامية مما تسبب من خلافات؛ فلم يؤجّل الحمل!

التوصيات:

أولاً: خاصة للزوج:

١- كيف يقبل هذا الزوج المسلم أن تكون زوجته تعيش مع آخر؟ لذا يجب فوراً طلاقها شرعاً، ثم اتخاذ إجراءات طلاقها طبقاً للقانون مهما كانت التكاليف المادية المترتبة على هذا الطلاق؟

٢- البحث في بلده عن زوجة مناسبة يأتي بها تعاونه على تربية ولديه، وتعوضهما فراغ والدتهما.

ثانياً: عامة للمجتمع المسلم في المهجر:

١- إن كنت في سن الزواج فلا تهاجر دون زوجة.

٢- المسجد ليس فقط لأداء الصلاة، بل لبناء ورعاية المجتمع المسلم، وهي مسؤولية الإمام وكل رواد المسجد.

٣- يجب أن تتولى مجموعة من كبار السن (الرجال، والنساء) في كل مسجد حصر الفتيات والشبان في سن الزواج، وتنظيم دورات تثقيفية وأنشطة إسلامية وتوعوية لتنمية قدراتهم وليتعارفوا، وبما يوفر لهم بيئة إسلامية صحية يمكن لهم أن يتزوجوا من خلالها.

٤- من الأخطاء التي عاشرتها هنا في كندا، محاكاة الزواج في بلد المنشأ؛ مما يصعب جداً إتمام الزواج، ويجهد الزوج مادياً، فيجب التسهيل والتيسير، وهذا من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا توجيهاً عاماً لكل المسلمين، إلا أنه نظراً للفتن التي يعيشها أولادنا فيجب الحرص على عفتهم.

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (11)

الثناء على المدعوين

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس الحادي عشر بعنوان «الثناء على المدعوين».

د. رمضان أبوعلي
أستاذ جامعي- دكتوراة في الدعوة الإسلامية

يقصد بـ«الثناء على المدعوين» المدح الصادق للشخص بما فيه، قبل توجيهه، من أجل تهيئته للنصيحة، فإن هذا يكون أدعى لقبولها.

التأصيل الشرعي:

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه يدعو إلى إعطاء كل ذي حق حقه، وعدم النقص منه، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الشعراء: ١٨٣)، وقد جاءت الأشياء هنا نكرة؛ لتفيد العموم، والمعنى: ولا تنقصوا الناس أي شيء مما يكون لهم، سواء كان هذا الشيء مادياً أم معنوياً، فلا بد من الاعتراف به وتقديره والوفاء به.

كما اشتمل القرآن الكريم على مدح الأفراد بما فيهم من الصفات الحسنة، حيث قال تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾

السُّنة النبوية أكدت مشروعية الثناء على المدعوين بما فيهم من جميل الصفات

الثناء على الآخرين يسهم بالوصول إلى قلوبهم وإشباع رغباتهم ومن ثم جذبهم

الثناء يحرّك القلوب الساكنة ويوجه العقول الخاملة ويبعث القدرات الكامنة للانطلاق

(هود: ٧٥)، وقال عن أنبيائه سليمان وأيوب عليهما السلام: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠).

كما تحدث الحق سبحانه وتعالى عن محاسن المدعوين في إطار النصح والتوجيه، فعندما دعا سيدنا شعيب قومه، ذكر لهم ما يتميزون به من حسن الحال وسعة الرزق، فقال: ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (هود: ٨٤)، وعندما ذكر الحق سبحانه وتعالى أهل الكتاب مدح من يتسم منهم بالأمانة، فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: ٧٥).

وقد أكدت السُّنة النبوية مشروعية الثناء على المدعوين بما فيهم من جميل الصفات، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على القبائل التي سابقت إلى الإسلام ودخلت فيه، وهي: جهينة، ومزينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، فقال: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها»[1]، كما أثنى صلى الله عليه وسلم على النجاشي ملك الحبشة فقال للمستضعفين من الصحابة: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»[2].

وكان النجاشي يومها على النصرانية، لكن الرسول الكريم أثنى عليه بما هو فيه، ومن ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على المدعو بجميل ما هو فيه ما قاله لأشج عبدالقيس: «إِنَّ فِيكَ خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[3].

كما أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على أُبي بن كعب، حين سأله: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحي القيوم»، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَاللَّهِ، لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر»[4]؛ أي ليكن العلم هنيئاً لك، وفي هذا دليل على جواز مدح الإنسان في وجهه بما يستحق.

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»[5]، وفي هذا ثناء عليهم بجميل ما يتميزون به.

وعندما أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَسْجِدَ قِبَاءَ، قال: «يا مَعشرَ الأَنصارِ، إنَّ اللَّه قَد أثنى عليكُم في الطُّهورِ، فما طُهورُكُم؟»، قالوا: نتَوضَّأُ للصَّلاة، ونغتَسلُ منَ الجَنابة، ونَستَنجي بالماءِ، قالَ: «فَهوَ ذاكَ، فعليكُموه»[6]، ففي هذه الشواهد ما يدل على أن الداعية إذا رأى في الناس خيراً أثنى عليه ودعاهم إليه.

التوظيف النفسي:

يسهم الثناء الصادق على الآخرين في الوصول إلى قلوبهم وإشباع رغباتهم، ومن ثم سرعة جذبهم، فقد أكدت الدراسات النفسية أن أعمق سمة في شخصية الإنسان هي رغبته في أن يكون موضع تقدير، حيث إن التقدير يجعل المرء يطلق العنان لكبرى قدراته ومهاراته، فالثناء الصادق يحقق نتائج لا يمكن تصورها، ويزيد من قوة جذبك للآخرين[7].

التوظيف الدعوي:

يحتاج الثناء على المدعوين إلى ضوابط مهمة حتى يؤدي وظيفته الدعوية، ومن هذه الضوابط[8]:

أولاً: موافقة القول للحقيقة؛ بمعنى أن يكون الممدوح أهلاً لما يُقال فيه، ولا يتجاوز المادح الصفات الحقيقية الصادقة في الممدوح.

ثانياً: التوسط وعدم المبالغة في المدح؛ بحيث لا يرفع المادح الممدوح فوق منزلته، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[9].

ثالثاً: الأمن من فتنة الممدوح؛ حيث إن المدح قد يكون فتنة للممدوح، فيقع في معصية كالكبر والاستعلاء أو الفتور عن العمل الصالح.

رابعاً: تقييد المدح بقول: «أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَداً»[10]، فإن هذا من الأدب مع الله في رد علم السرائر إليه فهو أعلم بمن اتقى، والأحكام تجري بالظاهر والله يتولى السرائر.

فإذا أمِن الداعية الفتنة وتوسط في ثنائه ولم يتجاوز الحقيقة فيه؛ فإن هذا الثناء يسهم في تشجيع المدعو على الاستجابة أو الاستزادة من الخير.

الدليل على التأثير الناجح:

يعد الثناء على جميل ما يتحلى به المدعو ركيزة دعوية، تسهم في استجابة المدعو واستزادته من الخير، ومن الأمثلة التي تدل على دور الثناء في استجابة المدعو ما كان من الرسول حين دخل مكة في عمرة القضاء من العام السابع للهجرة، فسأل عن خالد بن الوليد، فأجاب أخوه الوليد بن الوليد: يأتي به الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما مثله يجهل الإسلام، ولو جعل نكايته وقوته مع المسلمين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره».

فخرج الوليد يبحث عن أخيه، فلم يجده، فأرسل له رسالة يخبره فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عنه وأثنى عليه، ثم قال له: أما بعد، فإني لم أَرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد، فاستدرك يا أخي ما فاتك من مواطن صالحة.

فلما قرأ خالد الرسالة سُرَّ بها سروراً كبيراً، وأعجبه مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، فتشجع وأسلم وانطلق إلى المدينة، ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة، فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم السلام بوجه طلق، وقال له: «الحمد لله الذي هداك، وقد كنت أرى لك عقلاً لا يسلمك إلا إلى الخير»، ففرح خالد بذلك، وبايع الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام[11].

ومن الأمثلة التي تدل على دور الثناء في استزادة المدعو من الخير ما ثبت أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رأى في منامه كأن ملكين أخذاه وذهبا به إلى النار، فجعل يقول: أعوذ بالله من النار، فلقيه ملك آخر، وقال له: لَمْ تُرَعْ (يعني لا تخف)، فقص رؤياه على السيدة حفصة، فقصَّتْها على رسول الله، فقال: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّه، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»، فَكَانَ عبدالله بَعْدُ لاَ ينام من الليل إلا قليلاً[12]، فقد حثّه الرسول صلى الله عليه وسلم على قيام الليل في ثوب الثناء عليه، وجاءت الثمرة في استزادته من صلاة القيام، حتى إنه لم يتركه بعد ذلك إلا قليلاً.

والخلاصة أن الثناء على المدعو بجميل ما هو فيه إنما هو منهج قرآني وتطبيق نبوي وأساس دعوي، من شأنه أن يحرّك القلوب الساكنة، ويوجه العقول الخاملة، ويبعث القدرات الكامنة للانطلاق نحو الاستجابة الفاعلة والحركة العاملة والهداية الفاضلة.■

الهوامش

(١) صحيح البخاري، رقم (٣٣٢٣).
(٢) سيرة ابن هشام، (١/ ٢٨٠).
(٣) صحيح مسلم، رقم (١٧).
(٤) صحيح مسلم، رقم (٨١٠).
(٥) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم (١٣٩٩١).
(٦) أخرجه ابن ماجة بسند صحيح، رقم (٢٩٠).
(٧) مقومات التجربة الصينية: لوه تشونغ مين، ترجمة: حسانين فهمي، ص ١٢٨.
(٨) راجع: أهمية أسلوب المدح وضوابطه، د. حمود الحارثي، ص ١١.
(٩) صحيح البخاري، رقم (٣٤٤٥).
(١٠) صحيح البخاري، رقم (٢٦٦٢).
(١١) المغازي، للواقدي، ص ١٩٨.
(١٢) صحيح البخاري، رقم (١٠٧٠).

محطات إيمانية في طريق التربية..

في الحلال كفاية عن الحرام

إيمان مغازي الشرقاوي

ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

اعذريني أختي.. أنا آسف.. لقد تمت القسمة وانتهى وقتها.. قامت أمي بتقسيم كل شيء علينا، أنا وأخواتي الثلاث ولم تذكر لك شيئاً؟ ماذا أفعل يا أختي؟ إنها أمي.. لقد قامت بقسمة المال والبيت والأرض وما كان يملكه أبونا رحمه الله، وقد قبلنا بقسمتها، فهي أمنا، كما أن حاجتك للمال أقل من حاجتنا.

لا عذر لك يا أخي؛ لقد وافقتْ قسمتها هواك فلم تنكر عليها هذا الظلم، ولم تتكلم لرفعه عني! أوَلستُ أختك؟ أليست أمك تعرف أنني ابنة زوجها وأنني أنتسب لأبي مثلكم تماماً، وأن لي حقاً فيما تركه أبونا بعد أن توفاه الله تعالى، إنه حقي من أبي الذي كتبه الله لي ولو كنت غنية! حقي ونصيبي الذي فرضه الله لي ولم يتركه لأهواء البشر يعطونه من أرادوا ويمنعونه من شاؤوا، حقي الذي أنزل ربي فيه قرآناً يُتلى إلى يوم الدين، كيف يهنأ لكم مطعم من مال ليس حقاً لكم، ولم تسمح به نفسي أو تسامح؟! كيف طاب لكم أن تأكلوا ميراثي وتجدوا لأنفسكم الحق فيه! ماذا لو كان المحروم هو أنت يا أخي، أو أمك نفسها، أو إحدى بناتها؟!

هذه حال بعض الناس في تعاملهم مع المال حين يستأثرون به لأنفسهم ولو كان مالاً حراماً، ويأكلونه ولو كان لغيرهم، ويتملكونه وهو ليس من حقهم، تغرهم زخارف الحياة الدنيا ويطول أملهم فيها؛ فيُقْدِمون على تقسيم الميراث دون الرجوع إلى شرع الله تعالى في ذلك، ويجمعون المال دون النظر أمِن حِلٍّ هو أو مِن حرام؛ فيحل عليهم شؤم هذا المال حين تمتلئ بطونهم بالمطعم الحرام، وتكتسي أجسادهم بالملبس الحرام، وتنمو أبدانهم بالغذاء الذي اكتسب بالمال الحرام، ثم هم يتعجبون قائلين: لماذا لا يستجيب الله لنا؟! ولماذا حياتنا تضيق بكثرة المشكلات؟! ولماذا أولادنا يعقوننا؟! ولماذا نزعت البركة من أموالنا؟! ألم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعانا إلى التحري في تحصيل المال والحرص على أخذه من حِله، فقال: «يَأْتي

الله تعالى أوجب على المسلم ألا يكسب المال إلا من حلال وألا يُطعم إلا الطيب

عَلَى النَّاسِ زَمانٌ لا يُبالِي المَرْءُ ما أخَذَ منه؛ أمِنَ الحَلالِ أمْ مِنَ الحَرامِ» (رواه البخاري).

الكسب الطيب

إن الإسلام دين طيب، وهو دين الأخلاق العالية والآداب الرفيعة، وذلك في كل مجالات الحياة، في أحوالنا كلها، وقد اهتم بطيب المطعم وأوجب على المسلم ألا يكسب المال إلا من حلال، وألا يطعم إلا الطعام الطيب في نفسه، الحلال في كسبه، كما اشترط الله تعالى لقبول الصدقات والنفقات أن تكون طيبة، ولم يستثن الله من ذلك أنبياءه ورسله بل أمر به جميع المؤمنين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّه طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّه أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟» (رواه مسلم).

فهل بعد ذلك يقْدِم المسلم على استحلال مال غيره لنفسه، أو يأكل مال يتيم في حجره، أو يضم ميراث غيره لماله؟! كيف يتلذذ بذلك الطعام ويقتات به؟! وكيف له أن يشعر بلذة الطاعة وأنَّى له أن يُتقبل دعاؤه إن هو فعل ذلك كله أو بعضه؟! هذا إن لم يتب ويرد الحقوق إلى أصحابها.

لقد فطر الله تعالى الإنسان على حب المال، وجعله زينة الحياة الدنيا، واختبر صاحب المال في ماله وسيسأله عنه يوم القيامة كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأل عن عمرِهِ فيم أفناهُ، وعن علمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ» (رواه الترمذي)، كما نهانا الإسلام عن أي كسب محرم كالتعامل بالربا، وأخذ الرشوة، والحصول على المال بالغصب والإكراه والسرقة والنهب، وكذلك ما اكتسب بالغش والزور والكذب والاحتيال كما يحصل هذه الأيام من الخداع والنصب من خلال وسائل التواصل الحديثة عبر الإنترنت والأجهزة الذكية، وقد حذر من ذلك كله فقال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» (رواه أحمد)، وقال: «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت» (رواه أحمد).

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن المال في أيدينا إنما هو وسيلة وليس غاية، ووصف الحلال منه بالصلاح فقال: «نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ» (رواه البخاري)، فالمال الصالح يُصلح صاحبه، ويُصلح معه غيره، ويشارك في صلاح واستقرار المجتمع الذي يعيش فيه، حين يخلو من الممارسات المحرمة في اكتساب المال أو في إنفاقه.

البركة في الحلال الطيب

إن الطعام إذا طاب ولم يدخله الحرام طابت النفوس وزكت، وصلحت الجوارح وسلمت، وكانت العبادة والدعاء أقرب للقبول، وظهر أثر ذلك في صلاح الذرية، وذلك من البركة في الكسب الحلال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، فَمَنْ أصابَ مِنْها شَيئًا من حِلِّه فَذَاكَ الذي يُبارَكُ فيه» (صحيح الجامع).

وقد أمرنا الله تعالى بالسعي للكسب الحلال فقال: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) (الجمعة: ١٠)، وقال: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)، وحثنا النبي صلى الله عليه وسلم على العمل لتوفير الطعام الحلال فقال: «ما أكلَ أحدٌ طَعامًا قَطُّ خيراً من أنْ يَأكلَ من عملِ يدِه وإنَّ نَبيَّ اللَّه دَاوُدَ كان يأكلُ من عملِ يدِه» (رواه البخاري)، وذكر أن النفقة من حلال هي التي تقبل ويؤجر صاحبها، فقال: «ما كسبَ الرَّجلُ كَسباً أطيبُ من عملِ يدِه وما أنفقَ الرَّجلُ على نفسِه وأهلِه وولدِه وخادِمِه فهو صدَقةٌ» (رواه ابن ماجه).

فليحرص كل منا على تحري الحلال في كسبه، والتعفف عن الحرام، وإذا ما سولت له نفسه واشتهت الحرام فليلجأ إلى الله تعالى ويدعُه: «اللهمَّ اكفِني بحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِني بفضلِكَ عمَّنْ سِواكَ» (رواه الترمذي).■

الطعام إذا طاب ولم يدخله الحرام طابت النفوس وزكت وصلحت الجوارح وسلمت

ليحرص كل منا على تحري الحلال الطيب في كسبه والتعفف عن الحرام والخبيث

الانتخابات الأمريكية !

نقطة الاتفاق ..!
الملفات
الوثائق
المذكرات
المذكرات
التقارير